

نصدير

أثبتت القصة التونسية في ظرف سنوات قليلة وجودها النامي ،
وطاقتها على التطور ، وتجاوز مرحلة الضبابية والغش ، والضييق
والتعثر ، رغم ما يتهمها به بعض « المتحدثين » طاعنين في ماهيتها ،
زاعمين أنها ما تزال مهاترات هامشية ، وذاتية مغلقة .

ولقد صمدت القصة التونسية في وجه الطعن ولا نقول - النقد -
وأبرزت الأبعاد التي اكتشفتها في طرق مشاكل الإنسان الحى ،
الإنسان الغامض ، المضطرب ، المتناقض ، غموغس اللحظة المستقبلية ،
واضطراب الرجل المتحركة ، وتناقض المنزلة بين الجدة والقدم .

فماذا يريدون من القصة التونسية ان تكونه ؟! يريدونها معبرة
عن واقعنا الحاضر في بلدنا النامي !

لقد عبرت بكل صدق ، وبكل وضوح وإخلاص عن التحلجات التي
تنتاب الإنسان ، وقد وقف على خط ذى اتجاه واحد ، هو الطموح
والتوق الى الحيرة ، الى معرفة الذات . هذه الذات التي حان اخراج
كل « عفشها » لتمحو الشمس ويقسل النور ما علق بها من رطوبة
وعفن في ظلال « القدم » .

وكانت عملية اخراج « العفش » في اشكال جديدة ، وبحركات

جديدة ، فكان أدب جديد ، وكان انتاج بكر . وذلك أقل ما يرتجى
ممن آمن بالحياة ، وأراد الحياة .

وكان طبيعيا من هذا الموقف أن يلقي تفسير الناب من الجيل
القديم ، والانكار للقيمة ، والانتقاص للمجهود . ولا نحسب أن هذا
بدع و نساخ عن سنة الحياة ومجرى التاريخ ؛ فالحقيقة أن كل جيل ،
فى التاريخ ، يعيب على سابقه التشبث بالقوالب المعروفة يلوكلها مع
الايام ويجترها فى الانتاج ، مهما جوانب عديدة ما تزال مجهولة
غامضة . علما بأن جوانب الغموض لا تنالها النهاية لان فى نهايتها
نهاية الحياة ذاتها .

وتطور الادب الحق هو فى هذه النظرة على قساوتها ؛ فالكاتب
الجديد هو الذى يمسك قلمه بعد أن يكون قد ألم بأدب سالفه
واكتشف الثغرة التى ينوى سدها ، طامحا بذلك الى تحريك جانب
جديد فى الادب ، الادب بصفة عامة .

مهمة الكاتب الجديد - إذن - هى الكشف عن المجهول الذى لا
يمكن أن يكون - حتما - مشابها للمعلوم . لذلك تعسر الاحتفاظ
بنفس الاسلوب ، ونفس الشكل ، ونفس الحركة . تعسر ذلك لانه
التطور ، ولانه « الجديد » .

والجديد متشعب . ويتشعبه تكثر حركاته مختلفة بين الاسراع
والابطال ، بين الرتابة والانفلاق بين العجز والتحدى ، بين
الوقوف والجموح بلا جام ولا كبح حتى فضاوت لا تسبر .

والجديد متنقل . ويتنقله تتبين اماكنه وتغير ؛ فهو نارة فى
مدينة خطوطها ملتوية ، متطاولة ومتشابكة ، او منسقة ، عريضة ،
سوية . وهو طورا على خطين متوازيين فوق سكة حديدية ، قد يكون
لحمة واحدة صغيرة كالذرة ، او عظيمة كالكوكب . وقد يكون اشلا
مشتتة تحن الى بعضها حين التلاحم والتفاعل .

تلك هي بعض الصور والحركات والافوضاع الجديدة تبحث عن مجهول قد طغى ظله في كل كلمة وفي كل حرف ، تبحث عنه وتريد أن « تفضحه » فتضيق عليه الحصار ، حائمة حوله ، مقتربة منه ، ولكنه فراغ . والكاتب الحق لا يدعى سد ذلك الفراغ بقدر ما يسعى الى الكشف عنه او حتى الايمان اليه .

ذلك هو الجديد في نظرنا ، الجديد في عالم الانسان المتجدد النامي ، عالم القصة التونسية المتجددة النامية .

إن « قصتنا » مصدرها الانسان ، وغايتها الانسان ، وطريقها التطور . التطور في سبيل الانسان .

ذلك هو التزامنا . وتلك ملامح أصالتنا . وعلى الطاعن القاعد أن يشمر عن الساعد ، ساعد الجد حتى لا يكون « رمية » في هوة لا قرار لها ولا ماء .

« قصص »

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

انطلاقة

قصة لعز الدين المدني

السماء شخماء منخفضة ، عريضة الآفاق • المطر غزير قوى • الرعود والبروق متجاوبة • البرد قارس • الريح شمالية عاتية • الاشجار عارية ، مشوكة الاغصان ، سوداء الجذوع ، على طول الدروب ، لا أحد ، الا السيارات المسرعة ...

مازال قابعا في أحدا أو كان البرج • بعد أن أوقد المدفأة يهدل حيناً ويصمت أحيانا ، بنظر الى الدنيا طورا ويتأمل في نفسه أطوارا ، يستمع الى الموسيقى أنا ويصغى الى وجوب فؤاده أنا ، يقرأ الكتب لحظة ، ويشاهد الصور لحظة ويرغب عنها كلها لحظات ، يتخيل مرة ، ويتصور مرة ، ويتذكر بين بين ، ويحلم مرات • لكنه يقظ • سئم • يخرج ، لا يخرج : وهذه السماء الشخماء الحبل ، وهذا المطر الثقيل ، وهذه الرعود والبروق المتصادمة المتلاحقة ، وهذا البرد الناحر القارس ، وهذه السحب المكهربة المحتدمة ، وهذه الريح المتدافعة العجلى كالشفرات تقطع النبات •

مضارعه كماضييه ، وماضييه كمضارعه • أوصل الزمان عنده توترت ، فتمزقت ، ثم ماتت ، وأخيرا تعفنت • المستقبل صار فائتا في عينه ، الحاضر ظل زليقا مترجرجا ، مختلجا كروياه ، المنقضى أمسى مستقبلا في خياله ، المصير بات مستحيلا في عقله ، القدر • تأوه ، تهد ، تحرق • لم يكن شاعرا عذريا أو كاتبا رومنسيا ليبكى ، لم يكن من الضعاف ليضعف ، لم يكن من العباد ليستجدي • تجلد ، ولم يحسب

لم يعد يستطيع تمييز الافكار ، شلل الفكر في أعصابه . لم يعد يحسن تصريف الافعال ، فالج الفعل في نفسه . علائقه بالكون ، بالوجود ، بالحياة ، بما في الحياة تثلمت . رأى الغموض فل كل شيء ، الاشكال في كل امر ، الالتباس . في كل واقع ، فضاقت ذرعا بالتحليل والتركيب . اختلت لديه موازين الشعر ، وكذلك قواعد النحو ، والصرف ، والبلاغة ، واللغة . ما كان شاعرا ، ولا كاتباً ، ولا أستاذاً قط . انما اضطربت أوتار الكلام فيه ، فانقصمت بذلك روابط الحوار مع غيره . فغلبته العجمة ، وقهرته . والعزلة مرة في برج كبرجه ، والوحدة قاتلة في مجتمع متخلق كمجتمعه ، والرهينة عار في عصر التقدم كعصره . ظل يلغو ، يهذى ، يثرثر . . . لم يزد ذلك الا تلعثا ، وعيا ، وانغلاقا . لم يبق له الا الصمت ، والصمت خيانة في بلد حر كبلده ، الا الصوم ، والصوم ندالة في حال النشاط كنشاط وطنه ، الا الانتحار ، والانتحار أنانية ، وأثرة ، وعجب ، بله خيانة الضمير الحى في اعتقاده ، الا النهاية . . .

طالما عاش على الاستقرار . واليوم ، وهو يشرف على النهاية ، أخذ يشك فية ، ويناشد الحيرة والاضطراب . . .

ما زال قابعا في احد أركان البرج . ولم ينتحر بعد ، ولم تنته قصته بعده ، وما زال يصطلي بنار المدفأة . نظر يمنة ويسرة . ثم ألقى ببصره من خلال الكوة ، فلمح حمامة شابة وردية الريش والعين تفتش بمنقارها الظريف الوردى في التربة العجنة عن البر . لكن أين هو في هذه الارض المنجردة ، وفي هذا الفصل القاسى ، فشاهد حماما شابا يلاحقها ، ويحوم فوقها ليقبها من المطر المدرار بجناحيه البيضاوين القويين الخفاقين . وراحت هى تبحث ، تفتش ، تنقب عن البر ، هنا وهناك ، لحظات طويلة . وهى ترتعش ، وتختلج ، وترفرف ، وهو كظلها يخفق ، وينتفض ، حتى عثرت على حبة ، نعم على شبه حبة سوداء ، متأللة الجوانب ، ندية ، بل منتفخة بالماء ، ملوثة بالوحل ، ربما زهد فيها النمل ، وأهملتها الخنافس . فوثبت عليها ، والتقطتها . وهذلت وهذلت صاحبها مرارا ، وقد صعدت الجوع غير آبهة بالريح الجارحة ، بالمطر الثقيل القوى ، بالبرد القاسى . وهو يتابع حركاتها حيثما وقعت وأينما طارت ، ويدور حولها ، ويحاول تقبيلها . انهما جائعان . انهما حبيبان . لكن هل يزيد الجوع تحابيا ، وتعلقا ، وتألفا في مجتمع الحمام ؟

وعادت اليه بعد أن أخذت الحبة في منقارها ، فناولته إياها بحذق وحب في منقاره ، فأخذها منها بحب وحذق ، ثم تسلق اعالي الفضاء الرحيب في حلقات واسعة عريضة غير حافلة بالبروق ، بالرعود ، بالسحب المنخفضة ، وهي تطير بجانبه كظله • لم تمر لحظة حتى نزل ونزلت • فلفظ الحبة في شيء من ماء المطر الصافي ، ونظفها من الوحل ، ثم عصرها ، وجففها ، وأخيرا وضعها بحب وحذق في منقار صاحبتها ، فابتلعها • وهما يتهادلان ، يتعانقان ، يتناغيان • وحلقا نحو آفاق السماء الشخماء الواسعة فغابا ، وقد تركا خلفهما البرد ، والمطر ، والريح ، وحاماما مازال قابعا في برجه ، يصطلي بنار المدفأة ، تعبت به الدنيا ، وهو يعبت بنفسه ، ونفسه تعبت بأفكاره ، ومشاعره ، وذكرياته ، وخياله •

قال : « المجتمع الظالم هو الذي يكون فيه الجوع من أمارات المحبة » •

مازال قابعا في أحد أركان البرج ، وهو يصطلي بنار المدفأة ، فأخذ « كليلة ودمنة » ، ربما لمسلي نفسه بعض الوقت • وشرع يتصفح الورقات ، ويتأمل في الصور ، فكانه لم يطالعها أكثر من مائة مرة ، ولم يشرحه • ولاول مرة في حياته ، يشعر بأنه يحتقر في قرارة نفسه « بيدا » الذي استصغر أنام دبشليم ، يمقت هذا الاخلاقي الذي يستعمل الزمن ، ويستخدم التلميح ، ويعتصم في الغموض ، ويحط من منزلة هذا الفيلسوف الذي خلق دنيا من الصفات الثابتة ، والاحوال الجامدة ، والنعوت المتبدلة : فالاسد سيد السباع دائما ، والتعلب محتال دائما ، والكلب أمين دائما والحمام ؟ تسائل : « هل أنا مثل أبي ؟ وهل أبي مثل جدي ؟ وهل أنا مثل أخي ؟ وهل أخي مثل جاري ؟ » وأجاب : « اذا كان هذا كذلك ، فانا أعيش نيابة عن آدم الحمام • أنا الحمام اذن ! لا فرق بيني وبينه ، وبين زمانى وزمانه ، وبين مجتمعى ومجتمعه • اذن ! وهذا الدخان الكثيف الصاعد من المداخن ! وهذه المكعبات المستطيلة التي تسرع في خطاها على الدروب ! وهذه الطيور العملاقة التي تحلق فى أعالي السماء ! اذن ! هل كان آدم الحمام يعرف هذا كله ؟ على كل ، فان بيدا لم يذكر ذلك ! اذن ، ما هو الذى يميزنى عن أبى ، وعن جدى ، وعن أخى ، وعن جارى ؟ لا محالة ، التقدم ! التقدم ! ها انك تعلمت منطق البشر ! انه موضة العصر ! انظر ، ألا ترى أن الحمام صارت اليوم تصبغ ريشها وزغبها ، كالطاووس ! فهذه أرجوانية ، وهذه بحرية ، وهذه

زعرانية ، وهذه مرجانية ، وهذه لؤلؤية ، وهذه خزامية ، وهذه برتقالية ،
وهذه سماوية .. كفوس قزح ! التقدم هو الذى يميز صفة عن صفة ، وحالا عن
حال ، ومنزلة عن منزلة . لكن ! به فقد مجتمع الحمام سكونه ، وفيه ضييع
اطمنانه . كان سعيدا لانه لم يعرف طاحونة التقدم ! ولم يدخل فى نواخيرها !
ولم يغب فى دواليبها ! لكن أين يكمن التقدم ؟ وما هو سره ؟ وكيف لى أن
استكشفه ، وأنا قابع فى أحد أركان البرج ، أصطلى بنار المدفأة ، وأطالع
كتاب « كليله ودمنة » لاتسلى به بعض الوقت ؟ ما دمت أنا من هذا الزمان ،
فعل أن أكون ضروريا لنفسى ، ولعصرى ولمجتمعى . *

ورمى بالكتاب فى غدران مياه المطر ، لعل حروفه تفسخ ، وصوره تستحيل ،
وتمضى الى أبد الدهر ...

وفكر فى أنه سيسجر التنور بمجلدات كتاب « الحيوان » يوم عاشوراء حين
تشتعل الحرائق ، ويرتفع لهيبها ، وتتأجج نارها ، وتتطاير شراراتها ، لان
عملها كاذب ، زائف ، أبتى لم تبق منه الا رغوغة اللغة ، ولم تتسرب فيه الا
طلاوة الكلام .

وفكر أيضا فى أنه سيلقى كتاب « طوق الحمامة » الذى خطه بماء الذهب
فى مياه النهر حين تفيض وتزبد فى طلائع الربيع ، وعند تفتح أزهار اللوز ،
لان الالفة صارت عاطفة مستحيلة ، ذابت فى الغربة ، وصدئت فى العزلة ،
وتمزقت فى تحالف الاجيال .

لكن ، أين هو من هذه الثورة العارمة ، وهو ما زال قابعاً فى أحد أركان
البرج ، يصطلى بنار المدفأة ؟ أنى له ذلك ؟ والجو مازال مكهرباً : فالمطر ما انفك
يهطل ويهطل حتى جرف التربة ، والسماء ما برحت منخفضة ، متدهورة
تكاد تسقط على الارض من فراط قربها بها ، والبرد ما فتى يثلج كل حركة ،
ويجمد كل حياة . والرياح غدت تخضع كل غصن عنيد ، فيسجد لها او
يتكسر . والرمود والبروق المتلاحقة قذفت بصواعقها على الوديان ، والربى ،
والجبال . فساد الرعب ، وانقطع لليقوت ، وسدت الدروب ، وبات الجوع
ينهش الاحشاء . تمنى لو كان يعيش ~~لهم~~ أحد القطبين المنجمدين .. بين
شيخ البحر وعجله ! ...

انه يشعر بالغربة ، بالوحدة ، بالعزلة ، بل بالمفارقة فى كل شىء ، منذ أن ولد . . . الغربة داء عياء لم تبرأ منه نفسه ، والوحدة سكوت رهيب يلفه من كل جانب كبيت العنكبوت ، والعزلة أزمة علائقه بآل بيته ، بخلائه ، بأجواره ، بأشياخه . والمفارقة يراها فى الطبيعة ، فى المجتمع فى الحقائق ، فى المعتقدات . . .

تذكر صديقه الذى انتحر من جراء الوحدة . تذكر شقيقه الذى قتل بسبب العزلة ، تذكر الذى عاش غريبا بأنانيته ، وجبروته ، تذكر جاره الذى مات صبرا فى السجن خوفا من الاصداغ بمعتقداته .

تذكر نفسه أنه مازال قابعا فى أحد أركان البرج ، ولم ينتحر كصديقة بعد ، وهو يصطلى بنار المدفأة ، ولم يقتل كشقيقه بعد ، وهو يتفلسف . ولم يلق بكتبه فى النار بعد ، وهو يجمع الى الانطلاق ، ولم يمت صبرا فى السجن بعد ، وهو يتصور . ولم يزل عنه رجاؤه فى الحياة بعد ، وهو يتذكر . ولم يقلت من قبضته أسباب الامل ، السلامة ، الخلاص بعد ، وهو يتخيل . ولم يعد حقه فى الوجود بعد ، وقلبه يخفق ، ينفذ ، ينبض ، ينبض .

رأى كما يرى النائم فى الحلم ألا يغمطه قيطر الضيف أنه صار فرحا لا يقدر الا على الوثب ، والاعتزاز ، والقفز ، بين أم تلعمه الحب النقى ، وأب يحميه من الجوارح ، والهوام ، والاحناش . رأى جلده دون ريش ، يغمرة زغب خفيف ، ناصع ، ناعم كقز دودة التوت . رأى نفسه - ذات مرة - بين الدجاج « يتسردك » عليهن ، ويقلد أصوات بعولهن ، ويفتصب فراخهن بعد أسابيع معدودات من ميلاده حتى هاجت عليه الديكة ، فأنذروه ، ثم توعدوه ، وأخيرا شكوه الى أمه وأبيه ، فسجنناه أياما فى البرج . وذات مرة هزا بلاووز والبط فكان يمشى مثلهن متارجحا ، متفحجا ، مائلا ذات اليمين وذات الشمال ، حتى أحفظهن هذا المزاج ، نعم هذا المزاج البارد الثقيل ! فرفعن أمره توا بعد اجتماع صاحب الى أبويه ، فجرماه يوما وبعض يوم من الطعام والشراب . وذات مرة يتزين ويضع على ذنبه ريشا مستعارا ، فيباغت الطاووس فى أكله ، ويختطف طعامه متى وفر أمام وجهه لا يلوى على شىء . ويظل الطاووس مشدوها ، حائرا يفرغا لا يعرف هل أن هذا الطائر من الجن أم من الانس . وذات مرة ، يتمخر من مالك الحزين ، أستاذة الذى علمه

القراءة والكتابة ، ثم روضه على التأمل ، فبغيره ، ويشتمه ، ويثلبه ، ويفتأبه .
فحكم عليه استأذه يوما بالعصا ، والعصا لمن عصى ، ورفع رجله الى السماء ،
وأذاقه طعم « النافعة » والعصا . وذات مرة ، يركب السلحفاة فيحسبها دبابة
حربية ، فيشهر الحرب على الاعداء ، ويقاقل في سبيل الله ، ورسوله ، واليوم
الآخر . وذات مرة ، يمتطي الضفدعة ، فيخالها فرسا وحشيا جموحا مسن
فرط القفز حتى تضيق به فترميها على الارض . ولم يقلح أبواه في تربيته ...

وحمله والده ذات يوم الى أعلى الربوة ليعلمه الطيران ، والتحليق في الجو
وعلى مقربة من الارض ، بعد ان رأى قد نما ، واشتد ساعده ، وكثر ريشه ،
واختفى زغبه . حمله الى أعلى الربوة ليعلمه تحمل مسؤوليته ، وإيجاد قوته ،
والذود عن نفسه من الجوارح ، فهلح الولد من ذلك الهلع الشديد ، واضطرب
أمام والده ، وطلب منه أن يعفيه حتى يكبر ، فلم يسمع له والده . وسأله
أن يرجع الدرس الاول الى يوم غد ، فلم يسمح له والده ، وعنفه . وتوسل
اليه أن يتعلم وحده ذلك ، فلم يسمح له والده . وألح عليه في التعلم اليوم ،
وأفهمه أن الطيران مسألة حياة أو موت . وكلما زاد الولد توسلا واضطرابا ،
وهلعا ، زاد الوالد اصرارا وتعنتا . وضرب له موعدا فوق الزيتون العظيمة
التي تقع في سفح الربوة . ونصحه أن يفعل مثله : أن يفتح جناحيه مرارا
عديدة أولا ، أن يمد عنقه ومنقاره الى الامام ثانيا ، أن يمكن رجله من الارض
استعدادا للوثب ثالثا ، أن يقفز في الجو قفزة واحدة وبكامل جسده رابعا ،
ان يفتح جناحيه ويغلقهما باستمرار وبنسق واحد خامسا ، أن يثنى رجله
تحت بطنه سادسا ، ان ينظر دائما الى امامه سابعا وأخيرا ، حتى يلتحق به
فوق الزيتون العظيمة التي تقع في أسفل الربوة .

وسار الوالد نحو الهدف ، وبقي الولد ينظر الى الافق في استياء . يطير
أو لا يطير ؟ وتصور أنه سيقع على الارض لا محالة ، فيتكسر عنقه . . وناداه
والده ، وقد مضت دقائق ، فاستعد : يطير أو لا يطير ؟ منذ أن ولد يعرف
نفسه أنه ضحية والده . سيتورد عليه في يوم قريب ! وتراجع قليلا من
مكانه ، انه ابن عاق . وحرك جناحيه مرات قليلة . اما أن يقلح فيطرده
والده من البرج ، واما أن يخفق فيحبسه والده في قفص الدجاج . ومد عنقه
ومنقاره الى الامام . انه والد متجبر ، متكبر ، صلف ، مغرور ، معجب بنفسه ،
فحاول القفز ، فلم يستطع . وعاد الى مكانه . فناداه والده فاضطرب ، وأحجم

قليلا ، وحرك جناحيه مرات ومرات ، واشرب عنقه ، واستطال منقاره الى الامام ، وتصور أنه سيقع على الارض ، لا محالة ، كقطعة ثقيلة من الرصاص ، سيلقى على الارض فتتهشم عظامه ! ورنا الى الهوة السحيقة الفاصلة بين أعلى الربوة وأسفلها • لو يشاهد عقاب ؟ فحق قلبه • وحاول القفز ، فلم ينجح • وأحس في هذه اللحظة - ولأول مرة في حياته - بأن جسمه ثقيل • وشعر بأنه لا يستطيع تحريك جناحيه الا بجهد جهيد • وصاح به والده • فلم يتحرك من مكانه ، ولم يتنح عنه • فجاء والده غاضبا ، متوقفا • فعنفه ، ووبخه ، وكاد يصفعه • فأخذه أخذا ، وحمله حملا على ظهره ، وحلقت به في أعالي الجو • فأحس الولد بضعف شديد ، وبنشوة تدغدغه لم يألها من قبل • ثم نزل به والده فجأة وبسرعة مهولة • فأحس الولد بقلبه يسقط ، سينفجر ، سيقطع من صدره • وبغته ، قلبه والده في الجو قليلة واحدة ، بدون تنبيه • فسقط الولد سقوطا ثقيلا سريعا ، كلما تقاوم السقوط تقاوم هو ثقلا ، وسرعة ، وصراخا • وأحس كأن الارض تجذبه اليها جذبا عنيفا قويا ، كأنها تمتصه مصا وحشيا ، كأنها تبتلعها • ورأى التضاريس تخضر وتتكشف ، والانهار تتضخم وتبيض مياهها ، والوديان تنبسط ، والبحيرات تتسع ، فارتطم بالارض كالجاراة الصلدة ، وقد أغمر عليه ، وهو يقادى أمه لنجدته اذ لم يقدر على فتح جناحيه من عنف النزول لما اتته من غششته • رأى والده واقفا بجانبه ، غاضبا يرتعد ، ممتقع الوجه • ثم قرب منه ، وأخذ يفحص جناحيه • فلاحظ أنهما ملتصقتان بجلد ولده كأجنحة الدجاج ! أنكر منه ذلك ، وزعق • وعاد الى البرج ، وقد خلف ولده يجر رجله في الوادي •

حين وصل الى البرج ، سمع أبويه يتخاصمان ، ينتشاتمان ، يتشاجران • وسمع والده يقول لأمه : « انه ليس بابني • انه من جنس الدجاج والاوز • انه ليس من طينتي • رديه الى أبيه ، رديه والا فسوف أقتله » فجزع وانغم ، ولم يفظن كيف رأى والده يحمل أمه بمنقاره ، كما يحمل العقاب فريسته ، وهو يصيح « يا خائنة ! يا زانية ! » وطار بها الى قمة الربوة • فأسرع الولد ، وهو يبكي ويولول • وأجهد نفسه في السعي حتى وصل الى فجاء العقبان • فشاهد ، عن بعد أمه مصروعة ، تتخبط في دمائها ، وعلى رأسها وقف والده ينق كالغراب • ولما انصرف ، ارتدى الولد على أمه يقبلها ، يتوسل اليها أن تعود الى الحياة حتى لفظت أنفاسها الأخيرة • ولاحظ الدماء تسيل من رأسها ،

فدعر من ذلك ، فلقد نقر ذلك الوالد الوحش الجارح غيظا وحقدا دماغها حتى الموت . وما هي لحظة حتى شاهد طائرا هائلا ، أسود ، أعظم من الباز ، كبير الجناحين ، معقوف المخالب ، مقوس المنقار كالمنجل الكبير ، نارى العينين ، انه عقاب يدور فى عنان السماء دورات جهنمية ، فاعتصم فى الشعباب * ثم هبط العقاب وانقض على أمه ، وبضربة من منقاره قطع رأسها عن جسمها ، ومزقها بمخالبه ، وكشط جلدتها ، وفتت لحمها بمنقاره ، ولحس دماها بلسانه الحنشى . ولم يترك منها الا الريش والعظام . وعاد الولد الى مكان الاغتيال ، والتمثيل ، فحمل ريش أمه وعظامها الباقية ، وقبرها فى ضريح بأعلى الربوة * ومن ذلك اليوم ، عاش الولد كلا على الحمام والدجاج ، فكل ينكره فيشفق عليه ، ويبعده فيأف به ، ويزجره فيرق له .

وها هو الآن قابع فى أحد أركان البرج يصطلى بنار المدفأة والدنيا تعبت به ، وهو يعبت بنفسه ، ونفسه تعبت بخياله ، وذاكراته ، ومشاعره ، وأحلامه .

ورنا الى الطبيعة :

السماء شخماء منخفضة ، عريضة الآفاق . المطر غزير قوى . الرعود والبروق متجاوبة . البرد قارس . الريح شمالية عاتية . الاشجار عارية ، مشوكة الاغصان ، سوداء الجذوع على طول الدروب . لا أحد الا السيارات المسرعة ...

ثم قال : « انى ضحية العصر » . واخيرا صمت .

عز الدين المدنى

نظارة الذئب

بقلم : حسن نصر

فى هذا الصباح تنبهت على طلقة نارية ، فاستويت جالسا فى فراشى ، وأرغفت السمع ، فاذا هى طلقة ثانية ، واذا بصوت يرتفع كالعواء .. هل حدث أن نمت فى الغابة ذات مرة وسمعت عواء الذئب ! .. كان ما سمعته يشبه عواء الذئب .. بقيت مرهف الحس ، ثم انقضت عدة من الصمت .. كان النعاس لا يزال يغالبنى .. وأخفنى شئ .. كأنه الحلم ، فانتكشت تحت الغطاء مستسلما للنوم .. واذا هى طلقة أخرى تشق الصمت مدوية واضحة .. وعاد العواء من جديد .. كأن قريبا فى هذه المرة .. لكانه خلف الباب أو تحت النافذة وآستولى على الخوف ، لكننى نفضت عنى الغطاء وجلست ، وبينما أنا أهم بمغادرة الفراش ، اذا بأختى كلثوم الصغيرة ، تقفح على باب غرفتى ، وترفض نحو سريرى جزعة ، وهى تنادى :

— رفيق خوى ! .. خوى رفيق ! ..

تلقيت الطفلة بين ذراعى ، كانت ترتجف ، وقد اتسمعت عيناها وشجب لونها ، فجعلت أضمرها الى صدرى ، وأطمئنها ، وأهتف بها :

— ماذا حدث لك ؟ ماذا هناك ؟ قولى أخبرينى ! ..

أجابتنى الصغيرة ، وكأنها تتوسل بى ، والخوف والبكاء فى صوتها :

— ذرة ..

— ما بها ذرة ؟ تكلمى ! ..

أسرع ، ياخوى ، انها ستموت ! ..

وبدون أن أنتظر بقية الجواب ، قفزت من فراشى ، وغادرت غرفتى أستوضح الخبر .. لم أعد أدري ما اذا كانت الطلقات النارية تنبعث وسط الشارع أو توجه نحو البيت ، لقد ارتبكت فى أمرى .

اتجهت نحو غرفة الجلوس أين تعودت أن تنام مريبتنا درة . وما ان دنوت من الباب ، حتى بلغت سمعى أنه طويلة مكتومة .. دفعت الباب ، ودخلت وسط الغرفة .. لمحت فى الزاوية درة ممددة على الفراش ، والى جوارها وقفت أمى وجدتى .. كانت درة قد أدارت وجهها نحو الحائط ، ورأيت فخذها عاريا نافرا فى الفضاء ، اسمر فى لون العسل المصفى ، فى حين جعلت أمى تشير بيدها ، أن أبتعد ، وجاءت تدفعنى خارج الغرفة .. كان وجهها متغيرا شاحبا على الاخرى .. ولم أعد أفهم شيئا مما يجرى حولى ، فصرخت بأعلى صوتى :

— ما ذا هنا ؟ ماذا حدث أخبرينسى ! ..

وفى نفس الوقت ، دوى فى الفضاء صوت طلقة نارية ، وتبعتها طلقة ثانية وثالثة .. تركت أمى ، وهرعت نحو النافذة .. فتحتها ، فصفعتنى ريح الشتاء الباردة فى وجهي .. تطلعت الى الشارع .. كان مقفرا .. شعرت برجفة تهزنى فى ضلوعى ، فأغلقت النافذة ، ورجعت الى أمى أسألها :

— مآلها درة ؟ !

فسألتنى هى بهورها :

ماذا هناك فى الشارع . ما هذا الرصاص ؟ ..

— لم أر شيئا . الشارع خال ، لكن ماذا حدث لدرة ؟ !

ازداد شحوب وجه أمى وهممت ، ثم استدارت لتعود الى درة ، وهى تقول :

— انا مريضة .. أرجوك : لا تدخل .

كانت أختى كلثوم لاتزال ترتجف ، وقد تشبثت بتلابيب أمها ، فدفعتها الى وقالت :

— ابقها معك ، يارفيق .. لاتدعها تلتحق بـ ..

رفعت الصغيرة بين ذراعى ، وقد لاحظت على وجهها جزعا شديدا .. كانت ذابلة الشفاه ، متسعة الحدقات ، وهى ترتجف كعصفور تحت المطر .. وسالتها :

— ما الذى يخيفك ، يا كلثوم ؟ ..

تنبتت الطفلة على صوتى كمن يستفيق من غشيته ، وطفقت تشهق بالبكاء ، وتــــردد :

درة ! درة ! .. انها ستموت ! ..

كنت أعلم بالصدقة الحميمة التى تربط بين كلثوم ودرة ، وأعجبني هذا الحب من الطفلة ، فجعلت الاطفال وأقول لها :

— أنت لا تدريين أين تكون صديقتك مريضة .. سوف تبرا .. لا تفكرى طويلا فى هذا الامر .. كلثوم ! هل أنت تحبين رؤية الجبل ؟ .. هيا بنا نتفرج عليه من النافذة ..

وقفت بها أمام بلور النافذة ، وأنا احتضنها وأقبل خدها الصغير وكان صراخ درة يصل إلينا مكتوما ضعيفا حينا ، ملففرا قويا حينا آخر .. وهبت الريح فتراقص سعف النخيل على رصيف شارعنا بضاحية حمام الانف .. وتحركت كل الاغصان فى حديقة البيت المقابل لنا فدننا .. وكان الضباب يكاد يحجب عناقمة جبل « بوقرنين » وبيننا أنا وأقلب نظرى بين الجبل والشارع ، وأتكلم مع الطفلة ، وأحاول أن أبعد عنها الخوف ، اذ لمحت فجأة هذا الذئب .. لقد أدركته منذ اللحظة الاولى .. كان واضح الصورة ، مرعبا حقا ، وقد مال برأسه فبدت عيناه ضيقتين مخيفتين .. وكان رفيع القوائم رمادى اللون .. ذنبه يتدل خلفه ، وقد جعل يعرج وسط الشارع مفتوح الفم ، بارز الانياب ، وهو ينهث .. كانت الطفلة قد رآته هى الأخرى فهتفت بى قائلة :

— انظر ، ياخوى ، الى ذلك الكلب ما أكبره ! ..

ولم أستطع أن أجيب الطفلة بحرف واحد .. أنا نفسى تملكنى الخوف فى تلك اللحظة .. لقد خشيت أن يعترض طريقه أحد المارة وهو جريح هكذا وحاولت إبعاد الطفلة وجعلتها لاتدرك حقيقة الامر فيتضاعف خوفها ، لكنهنسا بدت وكأنها أدركت كل شئ .. حين سألت :

- أنظر اليه ، ياخوى ! هو مخيف ، انه مجروح ، انظر ياخوى ! الى الدم فى كتفه ، .

ولاح فى أقصى الشارع رجل يركض فى أثر الذئب .. ودوت طلقة نارية ، فانتفضت الطفلة فى ذراعى ، وأخفت وجهها فى صدرى ، وقد جعلت تدحرنى تريد منى أن أبتعد بها عن النافذة ، فلم أستطع أن أتابع المشهد ، وأبتعدت عن النافذة فى حين أرسل الذئب عواءة مرعبة زادت فى خوف الطفلة .. وأحسست باظافرها تنغرز فى خدى ، فانطلقت أنادى أمى - ومن الغرفة الأخرى ارتفع صوت درة النداء :

يارسو ووله ، يارسو ووله ..

وتتابع النداء ضعيفا مؤلما ، ثم حادا متفجرا ، مرتعشا مع دفق الالم .. تقطعت انفاسى ، وأنا أرهف السمع الى هذا الصوت .. وجعلت أضغط على الطفلة بين ذراعى ، وجعلت الطفلة تغرز أظافرها الصغيرة فى خدى .. ان مثل هذا النداء لا يصدر فى الغالب الا من امرأة زمن المخاض .. تذكرت صراخ أمى قبل أيام ، وهى تضع مولودها الأخير .. وتمثل لى فخذ درة عاريا نافرا فى السماء .. وأين كانت تخفى أيضا حملها ؟ .. أين كانت تخفى بطنها ؟ .. اننى لا أكاد أراها خلال الايام الماضية .. وتتابع النداء ضعيفا مؤلما ، ثم حادا متفجرا ، .. وكدت أقتمح عليهم الغرفة لأرى ماذا يجرى هناك ، حين أقبلت أمى فثرت فى وجهها :

- ألا تقولين ماذا حدث للفتاة ؟ وماذا انتم فاعلون بها وحدكم فى غرفة مقفلة ؟

- دعنى يارفيق ، ياولدى .. أو تحسبني أحب ان أراها تتألم هكذا .

- أرى الفتاة تكاد تموت من هذا الصراخ

- اننى أكاد أموت بد لا عنها

- أريد أن أفهم ماذا جرى لها

- قلت لك ، انها مريضة ..

وبدأ لي كان أمي تخفي سرا وراء كلمة مريضة ، لكنني تابعت اسألها :

- هلا فكرتم في استدعاء الطبيب ؟ ..

- لقد ذهب أبوك منذ الصباح ولم يعد حتى الآن ..

وعنا ارتمت كلثوم الصغيرة بين أحضان أمها ، والخوف يكاد يعصف بها ، وجعلت تروى لها في صوت متقطع خبر الذئب :

- يامي .. يامي .. كلب كبير هائج .. يضربونه ، يا مي ..
تلقتها أمها ، وقد لاحظت جزعها فجعلت تضعها الى صدرها وهي تردد :

- اسم الله على بنتي .. اسم الله على ابنتي ..

ووقع في قلبي شيء خفت منه على الطفلة .. وأقبلت على أمي أطلب منها أن لا تذهب بالطفلة الى بيت المريضة ، وأن تمنع بشيان ابنتها .. ثم عدت الى النافذة فشاهدت الحارس الليلي وهو يمسك بندقيته ، ويتأهب لإطلاق النار . ولم ار الذئب .. ولاحظت بقعة من الدم القاني وسط الشارع ، وحدثت نفسي لابد أنه ذئب جبار . والا كيف استطاع ان يظل حيا بعد كل هذا الصراع مع الحارس وهذا الدم الذي سال منه ، أين تجده قد اختفى ؟ وجاء وراء الحارس جماعة من الناس ، وتجمعوا امام حديقة أحد البيوت حيث لطمه الدم ، وقال رجس : لقد شاهدته يقفز فوق السياج .

وصاح آخر : نعم رأيته بعيني يدخل الى حديقة هذه الدار .. وخاض الجمع ، وانتجت الاصوات ، ثم صاح صائح بأهل البيت الذي دخله الذئب .. احذروا الذئب ، لا يخرج أحد الى الحديقة ، وانفتح النوافذ وامتدت الاعناق ، ووقف بعض الناس أمام أبواب دورهم فزعين .. تزامم الشارع ، وكثر الكلام بينما ارتفع بكاء الاطفال وعويل النسوة من داخل امدار التي سكنها الذئب . شعرت بدخول أمي للغرفة فترجعت عن النافذة ، نظرت الى وجهها فاذا هو شاحب بلا لون ، وسألتني :

- هل عاد ابوك ؟
- فسألتها بدورى :
- ماذا حدث للفتاة ؟
- انها ستموت بين أيدينا
- الاتريدين أن تخبرينى ماذا حدث للفتاة ٠٠
- سكنت قليلا ، ثم قالت دون أن تنظر فى وجهى :
- انها تجهض
- ماذا تقولين
- اقول ، انها ستسقط جنينا
- درة ٠٠٠ ؟
- نعم مصيبة نزلت بنا
- لكن كيف حدث ذلك ٠٠٠ ؟
- ومن يعلم كيف حدث ذلك ٠٠ !
- الم تخبرك بحقيقة الامر ؟ ٠٠٠
- لم تشأ ان تنطق بحرف واحد
- كيف تقولين هذا يا امي ؟
- وماذا تريدنى أن أفعل ٠
- يجب أن تتحصلى منها على اعتراف

— لم يعد بإمكانى فعل أى شىء ، الفتاة فى حالة خطيرة ، كارثة حلت بنا ،
كارثة يارفيق ، ياولدى •

ولا ادري كيف وجدتني أفكر فى (العطار) فى تلك اللحظة •• هل تكون
فعلته ؟ فكثيرا ما كانت ترسلها أمى اليه لقضاء بعض الحاجيات • وما أكثر
حاجياتنا ؟ ولم أرفائدة فى اثاره هذا الاحتمال خوفا من أن أزيد فى قلق أمى
وأضطربها ، واكتفيت بأن سألتها قائلا :

— أيعون أبى قد علم بذلك ؟

ولم تجبنى أمى : بل، أنت حركة من رأسها لم استطع فهمها • وسألتها عن
كلثوم الصغيرة فقالت لى :

— ذهبت بها لفراشها لتنام •

وفى هذه الاثناء دوت طلقة نارية تشق الفضاء •• كانت قرية حتى حسبته
فى جنبى • وهتفت أمى :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ربى • معاننا •

هرعت الى النافذة فشاهدت الحارس يقف فى أعلى السياج ، وقد سد
ببندقيته الى داخل الدار ، وارتفع صوت من الاسفل يقول : « زده • انه لم
يمت بعد » وشاهدته وهو يصوب ببندقيته باتجاه الحديقة كما لم أشاهد فى
حياتى صورة انسان من قبل وهو يستعد للقتل ، ما أبشع وجوه القتلة ••

وأطلق النار ، فانتفض شىء بين الاشجار وسط الحديقة من غير أنين
ولا عويل •

كانت أمى تقف الى جوارى امام النافذة ، لم تبدر منها كلمة واحدة ، وفجأة
سمعنا صوت جدتى يرتفع بالنواح ، ونظرنا فى وجوه بعضنا أمى وأنا •••

حسن نصر

لقد ماتت •• درة •



بقلم : مصطفى الفارسي

بلغتني برقية من صديقي الهادي هذا نصها :

« أغادر البلد غدا صباحا .. لو كان للشجر حق الاختيار لانقلب الشجر طيرا .. الى اللقاء في ارض الله .. »

قرأت البرقية في ذهول واعت قراتها مرات .. ثم دسستها في جيبى ، وقد غمرنى اضطراب شديد .. كان على أن أهرع الى السيارة وأن التحق بالعاصمة عاجلا ... فيما مائة وخمسون ميلا .. وإن قطعتها ليلا ، وإن قطعتها مشيا .. لو كان باستطاعتي أن أردعه عن عزمه ... لقد عزم الهادي على مغادرة البلد ، وعزم الهادي لا مرد له :

— الوطن ؟ تعلق الناس بالوطن يا أخى ضرب من الاستسلام الى الامر المقضى .. انا لم اختر أبى لو لم اختر وطنى ، فما يمتنعى اليوم ، وقد بلغت سن الاختيار من تبديل هذا وذاك .. وما رأيك يا أخى فى أب لا يغط فى نومه ولا يلمظ فى أكله وما رأيك فى قطعة من جبل « برئو » وضفة من النيل وشلال من شلالات « نياقارى » وزوجة من الصين ومواطنيين من كل صقع وأولاد من كل دين .. لو كان للشجر يا أخى حق الاختيار لانقلب الشجر طيرا ..

انى لأذكر اليوم ما قاله الهادي فى ساعة من ساعات الضيق ، هو يسميها « وقفتى على النافذة » فأعلم أن له فى كل بلد وقفة ، وأن له فى ارض الله أكثر من وطن ..

كنا ثلاثة تجمع بيننا رابطة الفقر منذ سنى المدرسة الابتدائية • كان معلمنا يقول : « وكل غريب للغريب نسيب » وكان الهادي ينقح هذا القول فى كل مناسبة : « وكل فقير للفقير نسيب » •

كان أبى يريدنى حلاقا صناعا مثله • وكان المحسن حلقة من سلسلة النساجين التى توارثها أفراد عائلته منذ أكثر من قرن • أما الهادى فكان ابن الاسكافى الذى يرتق ما كنا نفتق من نعال وابتسامة الامل على شفثيه ودعوة الحير فى فمه ، كان العم محمود رحمه الله يعلق على ثلاثتنا الكثير من الآمال •

« الرجل بأصغريه ، يا أبنائى ، قلبه ولسانه » كان يردد هذه العبرة على مسامعنا فى ساعات الضيق • وكانت ترد على لسانه المحمر من اثر المسامير فصيحة بليغة كان لم يحفظ غيرها طول دهره •

ارتقينا سلم الدراسة درجة درجة • وكنا فى الطليعة • وكنا عند حسن ظن العم محمود • كان الواحد منا اذا زلت قدمه هب الاثنان الى مؤازرته بدافع تلك الحمية التى زرعها فى قلوبنا الآباء • ووطنت عراها سنوات من الطموح الى المستقبل الافضل •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

من كان منا يفكر أن تلك اللحمة ستنفصم يوم أن نلتحق بالجامعة ؟ فقد كان يربطنا أقوى من حبل وأبعد من أفق • كنا فى السادسة عشر من عمرنا ننهك فى مطالعة تولستوى وهيمنفواى ونقضى الساعات الطويلة فى مناقشة الغزالي وابن رشد والفارابى بينما كان أترابنا يقبلون على المنفلوطى ونعيمة ويتباهون بالسيارة الجديدة وصابرة الزيتون والمنزل الفخم والأثاث الجميل والتحف الفريدة • كنا نتفلسف • وكانت الفلسفة تذهب بنا أبعادا فنندفع ونتحمس ونخرج من ذلك بالقول والقرار الحاسم وخلاصة الخلاصة حول الحياة والموت والسعادة والشقاء والانسان والعالم •• كانت كل هذه الافكار تغل فى رؤوسنا كالمرجل • وكنا نملا بين هذا وذاك ساعات الفراغ • ثم كانت سنوات (المراهقة) فتدربنا على الرقص فى دكان الحلاق والدى أيام العطل والاضرابات • واندفعنا بتحمس غريب فى صفوف المشوشين الناقمين على الطغيان الداعين الى قلب الاوضاع • كنا نؤمن بالبطولة ، بالتطور ، بقلب الاوضاع ولم يكن لدينا ما نخشى عليه من التلف ، من الضياع ، من الدمار •

كنا شبابا وكان الطموح يهزنا هزا • ومرت فترة الاضطرابات فعشنا معا الحب الاول لكل واحد منا •

من كان يفكر أن تلك اللحمة ستنقسم يوم أن نلتحق بالجامعة ؟ فقد فرقت بيننا الأيام ، واتخذ كل منا من الحياة موقفه ؛ فرجعت من الجامعة مربيا ، ورجع المحسن مهندسا ممتازا • أما الهادي فقد عبثت به الاقدار ردحا من الزمن إذ أقصاه المرض عن جامعتي الحقوق والآداب فالتجأ آخر أمره الى هواية قديمة أصيلة اتخذ منها حرفة ومرتزقا ونجح في كلتا الحالتين •

كان الهادي رساما موهوبا منذ حداثة سنه • فما زلت أذكر رسما له مبالغا فيه لفلقة الحاج مامو ، مؤدب مركز الساقية ، مسقط رأس الهادي ومحيط صباه ••• ساقية الزيت • كان الرسم على غاية من الدقة والاتقان •• المؤدب وعصاه والطفل الملقى على الارض والدم النازف من رجليه ، وقطرات الدم التي كانت تغمر وجه الشيخ ••• ينبوع من الدم القاني تصاعد من رجلي التلميذ تحت القضا فلوث لحية الحاج مامو البيضاء ولطخ جبهته وسرواله ولم يمنعه كل ذلك من الامعان في الضرب ولا شغل من مساعدة الغليظ ••• إنني لأذكر اللوحة جيدا • وأذكر الكثير من رسوم الهادي فيزيدني ذلك يقينا بموهبة الهادي الأصيلة ••• لقد وفق في اختيار مهنته

سأكون الفن مهنة في نظرك ، يا أخي ؟ أنا وأنت من صنف الرجال الذين ليست لهم مهنة ••• أنت مرب • والمربي كالفتنان تماما ••• لو كان الامر كما تقول لكان الخالق صاحب مهنة • صديقنا المحسن له مهنة فهو مهندس بالوزارة ••• غريب أمر صديقنا المحسن ••• مذهل حقا •• أنا أنا ، وأنت أنت • أما هو فقد نسي من كان ••• هو الآن يمثل الحكومة ؛ فهو لا يفتأ يردد على مسمعي : « سنقيم السدود » « سنشيد عالم الغد » « سنقضي على التخلف » أما أنت فتقول : « سأشرع في البرنامج الجديد » « سينجح تلاميذي بنسبة ثمانين بالمائة » أأكون واحدا ويكون هو جماعة ؟ غريب أمر هذا الصنف من البشر • غريب ومحير •

دعاني الهادي منذ سنتين تقريبا الى تناول طعام العشاء في بيته ؛ فقد لقيني في الطريق ذات يوم ، وأعلمني أن زوجته المتحقت بمنزل أبويها لبعض الشؤون

وانه يقيم بالبيت وحده . واذا كانت زوجتي على سفر هي ايضا قبلت الدعوة دون تردد . لم اجتمع بالهادي قبل ذلك اليوم منذ اكثر من خمس سنوات فكان لقاؤنا في بيته عيدا . وزاد في بهجة العيد ان التحق بنا المحسن بدعوة من الهادي « والحاح » وكان المحسن اعزب الثلاثة و « اسعدهم » على حد قول الهادي .

وطالت السهرة وطال حديثنا في تلك الليلة . ولاحظ الهادي - على اثر مشاجرة جدت بينه وبين المحسن في سياق الحديث - لاحظ ان صاحبنا قد سلكت به الحياة مسلكا لم يكن يخامر ذهنه او يدخل في تقديراته .

- لقد أخطأت ، يا أخى المحسن في تعديديك بحسبك ، وإن أنا أصبت في تحديد الكثير من أصدقاء الدراسة فاذا كنت الرسام الغبي الذى ترى واذا كان هذا سيد التلاميذ فى القسم وملك القردة فى البيت والشارع واذا كان فلان صاحب تقى وفلان رب عائلة كبيرة وفلان ذا علم واسع ودراية فريدة فانت السيد المهندس الاول اعنى انك صاحب مسطرة حسابية . ومن كان شأنه شأن من لا يؤمن الا بمسطرته لا يمكنه بآية حال ان يحلم يوما ومن لا يحلم لا نوم له ومن لا ينام لا يفهم معنى اليقظة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فأطرق المحسن لحظة ثم شخص ببصره فى وجه الهادي وقال فى استهزاء :

- اليقظة ؟ وهل أنت تفهم معناها فى عصر الحساب هذا ؟ عصر الدقة عصر التصنيع ؟ أنت تستلقى على ظورك من حين لآخر تستجدى الوحي من هذا السقف الممتد امتداد السماء والسماء من فوقك خرس وجماد الى الابد . . . أنت لا تفكر فى توسيع آفاقك يا أخى . . . أنت تتخبط فى مشاكلك . . . أما أنا فحلل كل المشاكل فى جيبي . هذه المسطرة مجموعة من الاعداد والارقام المدرجة ضبطت بدقة واحكام . . . فلم تبذير الفكر ولم التخمينات والتقديرات والاحلام والعواطف . . . ما فائدة كل هذا ؟ لو ملكت هذه المسطرة يا أخى المسطول الحطل لانشغلت عن كل حالم مخمور يحدثك عن مشاعره وما شابه كل هذه الحفايا هواجس وتخيلات واعتيادات وما شابه كل هذه الحفايا بواطن من تهور . . . من سخافات . . . لو ملكت هذه المسطرة لقلت لهذا المخمور ما أقول : مهلا يا سيدى مهلا . . . لنبدأ من البداية ولنسم الحقائق امورا واقعة

إذا كانت حقائقك ثابتة قارة • فكل شكل قضية ولكل قضية برهان والبرهان في مزلق هذه القطعة من الحشب • في هذه المسطرة • سنحسب بالتدقيق مدى الغلط ومدى الصواب المحتملين في كل ما تقول ••• عصرنا يا أخى الهادى ليس عصر من يستلقى على ظهره يتفيا ظلا وهو يشخص ببصره في السماء من خلال فجاج اصابع رجله على وقع على سرب من الطيور فينهض لافتناصها ••• فقد يتوارى عنه الطير في خمير السوادى ••• الا تذكر خفى حنين ؟

— نعم اذكر « خفى حنين » واذكر ايضا ليال كنا نقضيها في الحديث عن الخير والشر ••• عن موضع الانسان من الكون وموقفه من المعتقدات والتقاليد والمبادئ والقيم • واذكر فيما اذكر الآن نعمنا كنت نعت به كل شيء ••• كلمتين كانتا تردان على لسانك في حديثك عن البشر •• عن الحدم •• عن بيت من الشعير وحتى عن البطيخ ايام الصيف وكنت نهما كما تعلم ••• كنت تقول في كل مقابلة : « هذا خارق للعادة » وكان كل شيء تستعذبه خارقا للعادة •• الا تذكر • كنت تعشق الجمال وكنت تجده في كل شيء •• يقتصر الجمال في نظرك اليوم على هاتين القطعتين من الحشب المطلي المرقم في دقة وإحكام ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وظال النقاش في تلك الليلة واحتد الحوار بين الاثنين فخشيت ان ينقلب العيد ماتما وقمة يدور الحكم بالضرورة فلم أجذب اطراف الحديث الى الاما • وافترقنا وقد طلع الصباح ولم ألتق منذ ذلك اليوم بالمحسن قطعا • أما الهادى فقد كنت أعوده في بيته من حين لآخر واسمع منه فعرفت عنه وعن زوجته سميرة وعن فنه وحياته ما قربنى اليه اكثر فأكثر •

لم يكن الهادى في صغره وشبابه ذا صحة طيبة فقد كان منحرف المزاج منذ عرفته يحصل له من المعدة ألم رتيب يقعه بالبيت ويقصيه عن المدرسة اياما • وكان يطلع علينا بعد تلك المدة بوجنتين وصدغين تعلوها الشرايين الدموية في تشابك مذهل محير • اقنية زرقاء خاسفة اللون نلاحظها عادة لدى السممر ذوى البنية الهزيلة • وكان اول ما لاحظته على وجهه عندما لقينته في الطريق منذ سنتين تلك الشرايين ولم تغادر وجهه ليلة سهرنا مع المحسن •

لم يكن الهادى من صنف الملاكمين • فقد كان وما يزال نحيفا أصغر اللون شاحبا •

كان الرجل الحرى بالاحترام والتقدير ايام شبابه رجلا اذا وصف بالشجاعة فالمراد شجاعته الخلقية وبالقوة فقوة ايمانه وعزمته وبالصلابة فصلابته فى الحق والتقوى •• كان الرجل الرجل من يعتبر التسرع نزقا وطيشا والحيلة حراما واجراما والشك اثما والكذب قحشا • كان يؤمن بالقيم ويموت فى سبيلها موتة الاشرف • وقد تقلص ظل هذا الرجل فى عصرنا •• عصر المحسن •• فأصبحت معاملة لا تلوح الا كباقي الوشم كما قال الشاعر فى بعض رجال التعليم • وفى بعض الخطب والتصريحات التى ليست لها الا قيمة ادبية صرفة • أ يكون العصر قد اراد ان يخلق صنفا آخر من الرجال ففتش عن الرجولة الكاملة فلم يجد نجاح فى الحياة من الناس •• فوجد ضالته فى ارباب الفكر الخلاق الذين يقضون المشاكل المنطقية بنفس الطريقة التى يتوخاها الملاك الماهر المرمية ضد خصم عنيد عتيد ليخضعه لسلطانه ويركعه تحت قدميه ؟ أ تكون الحيلة والمراوغة سر كل نجاح فى عصرنا ويكون صاحب الفكر من حباب الملاك الماهر بالدعاء والشجاعة والدقة فى تصويب الضربة القاضية الفاصلة ؟• اذا كان الامر هكذا وكانت حياتنا سلسلة من ردود الفعل تكتسب بعد طواف المراس فليس الهادى رجلا من رجال هذا العصر ولن يكون من رجاله ابدا •

لكانى به اليوم شابا وقد تجعد شعره الاسود على رأسه الصغير واسترسل على رقبتة فى افعال منسقة غريب كان يبرز وجهه النشائي كالاطار يبرز رسما • لم ازل اذكر انى كنت احسنه على تلك السحنة التى حبتة بشخصية فريدة شاذة كانت تستميل قلوب البنات وتستهوين •• لكن لم يكن الهادى من المولعين بمغازلة النساء فلم يكن يستطيع رفقتهن أو يطيل الحديث معهن • كنا نلومه على ذلك ونتحسر فيقول :

— كما تدعون ••• يهب الله الفول لمن ليس له اضراس •• ابنة الحمال يا سادة حبة فريدة واخشى ان يكون دون نيلها نسف الاضراس خالى العزيز الثرى النبيل لى ولسميرة بالمرصاد ••

وكنا نضحك للنكتة ونغرب من الضحك • ثم يكن الهادى من صنف
الملاكمين قطعاً • وكان صديقنا يتأهب للمعركة فعلاً •

كانت سميرة حبة فريدة ودرة مكنونة •• ابنة الحسب والنسب كملكة
الخرافات التى يحبها الراعى ويمعن فى حبها • احبها الهادى منذ الصغر وكان
على حبها فى العشرين كمن كان على موعد • انى لاذكر الآن كيف كان يصفها
لنا •• ولعل اول ما قاد اصابعه الى الرسم وجهه كان يستظهره كأبداع آية فى
كل آن ومكان •• وجه سميرة • كانت الصبية تشغله وكان الحب الذى وقفه
عليها اشبه ما يكون بالعبادة المتقدة الحيرى وكنت أخشى عليه من ذلك الوله
المتأصل المبيد •

اذكر اننا قضينا سهرة فى بيت خاله وقد أقام حفلاً بهيجا على اثر احراز
وحيدته سميرة الشهادة الابتدائية • لست ادرى هل قدمت سميرة لى أو
للمحبتين وكان ثالثنا ايدا قطعة من الحلوى كُتبت عليها ان تخص بها الهادى ••
فنظرت اليه وكان تلقائى فهاأنى ما لاحظت على وجهه من امتقاع وذحول ••
كان مطاطاً الرأس يشخص بصره فى حذاءه النظيف اللماع •• حذاء
المناسبات كما كان يقول •• رأيت يحنك بالحائط احتكاك من يحاول
الاستقامة حتى لا يقع على الأرض •• لكنه لم يفلح • فقد خر مغشياً عليه لا
يبدي حراكاً • وقضى فى فراشه بعد تلك الصدمة أكثر من اسبوع • وقلت
فى نفسى آنذاك ان ذلك الحب سيفنيه لا محالة يوماً •

كانت سميرة حقاً فى سحر الملائكة وخفة الضياء • وانى ما زلت احتفظ
برسم لها وهى طفلة اعتبره اليوم من ابداع ما خطته اصابع الهادى •

من كان يفكر ان ذلك الحب سيفتر يوماً •• من كان يعتقد ان ذلك الحب
سينقلب يوماً الى نفرة ؟ ليس المستحيل مستحيلاً كما يعتقد البعض •

كان الهادى فى نظر زوجته ضعيفاً مثلولا لا عزيمة تنهضه ولا طموح
يحفزه • أفلا يضيع الكثير من الوقت فيما لا يجدى بل لعله لا يقدم بكل عزيمة
وثبات الا على القيام بما تعودت ان تعتبره سميرة تافها زاهقاً لا شأن له •
كانت جائعة ضمأى فلم يغنها الهادى من جوع ولم يطفى ضمأها •

وتعكر صفو الحياة الزوجية بين الهادي وسميرة تعكرا أخذ يستفحل مع الأيام الى ان دقت ساعة القطيعة . بدأت سميرة تشعر بالغيرة يوم لاحظت ان بعض الشعيرات قد غطت شفتيها اللعيا معلنة حلول سن النضج ... ولم تكن على استعداد لتخطي هذه العقبة الجديدة اذ كانت تعتبر نفسها الى حد ذلك اليوم الطفلة اللعوب العذراء المكمة الحصينة وان تقاسمت مع الزوج عرض السرير . كانت تحب الهادي وقد علقته طفلة لكنها أصبحت تشك في نجاعة الحب يوم شعرت لأول مرة باشمزاز وتقزز عند ملامسة جسد زوجها في ظلام الغرفة وهو نائم بجوارها هادي مستسج . وقد حيرها هذا الشعور واقض مضجعها الى الصباح . ولم يتفطن الهادي الى امرها بل ظل يلاصقها كالزوج الرتيب ويخضع جسدها الى جسده ... الى المداعبة ... الى القبل ... فتخرج من كل ذلك في كل مرة بشعور الفريسة في ربة الطغيان ، فهي النذر توجب على نفسها ما لا طاقة لها به تبرعا أو تبذيرا .

— لقد صرحت بهذا ولم تستج ... لقد تبرعت بجسدها وبذرت من الوقت في سريري ما كان ينبغي به أجدر ... ما لم أكن استحق ... نعم ... صرحت بهذا يا أخى ولم تستج .

كانت ضمائى فوجدت من سبيها من الرجال من اسكن بعض ضمئها لكنها لم تعد تحتمل العيش بجوار الهادي . كادت تنسحق من الضجر بقربه وقد جاهرته بذلك بين يدي الحارم قبل ان يصدر الطلاق . وقص على الهادي قصته عند خروجه من المحكمة فكاف وجهه منقبضا مستطيلا اكثر من اى وقت مضى كانما الحزن قد زاد في طول أسنانه ... اسنان سوداء من رواسب الدخان كشفت عنها شفتان متفتحتان يرفجهما الغضب والحسرة وبعض الحمى ولا شك .

— كادت تنسحق من الضجر بقربي ... ولم أظن لذلك ولم أحاول ... أتدري يا صديقي من أنا ؟ غبي غبي غبي .

لم أعد أذكر اليوم ما قاله الهادي وهو يحلل الموقف في شجاعة وتجرد كانما كان يحاول ان يبرى زوجة زوجته أحبها فخاته وصدقها فكذبته . نعم كان يحاول ان يضعها في اطار من اطاراته لا لشيء سوى للذكرى . وكان لها مخلصا أمينا .

— أتدرى يا صديقى من أنا ؟ مفلس مفلس مفلس ..

لم يلق التبعة على زوجته قطعاً • فهو المسؤول عن كل ما وقع وقد رسخ هذا الاعتقاد في دماغه فأصبح عقدة ومركباً • كان الهادى كالنهر بعد الفيضان مسؤولاً عن الكارثة • وما كان ينفع النهر ان يحاول تبرير ساحته بالقاء جانب من المسؤولية على الجبل المجاور والمطر الغزير والمسيل الجارف • فهو المسؤول عن الكارثة لا محالة وهو الجانى وحده •

كان الهادى عاطفياً شديداً التأثير سريع الاعتزاز ولهذه الاسباب كان لا يحرز شيئاً ببتغيه • كان كمن يحمل بين جنبيه جهازاً مضخماً للعواطف يضاعف فى شعوره ان فى السعادة أو فى الالم وكان الشعور فى كلتا الحالتين يصدر عن أعماقه كالنغم المنسق المرهف المصقول •

— مشاعرى كندف اللبن ... كقطع المالم الصغيرة .. لكنها من الذهب الخالص أنا لا أؤمن بنجاعة الصكوك • الحب اسمى من الاقرار بالحب اذا صمنا ... والحب خير وأبقى .. لكن كما ترى المخلص فى عصرنا غيبى مفلس سل مسطرة المحسن تجبك دون تردد ... الخبز والشاعر والفنان أغبياء مفلسون •

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

وصدر الحكم بالطلاق فخشيت عن المصطفى مغبة الفراق وطرت اليه أسليه وأملأ بعض الفراغ • دخلت عليه وكللت منهنكا فى رسم لوحة جديدة • كان الرسم تجريدياً غريباً ولم يكن الهادى قد عنونه بعد • ودار بيننا فى ذلك اليوم حديث طويل قادنا كما كان يقودنا الحديث شبانا الى الحياة والموت والسعادة والشقاء والانسان والكون •

قلت : اتعلم انى كنت أخشى عليك من الموت طفلاً وشاباً • ولست ادري اليوم وانا أقف بجانبك أمام هذه اللوحة ما كان يدفعنى الى تلك الحشية • فانت انت • مريض نحيف شاحب اللون • لكننى لم أعد أخشى عليك • غريب • غريب •

قال : الامر هين والجواب عن سؤالك اهون • العدوى • العدوى • يا صديقى • كنت أخشى الموت طفلاً وشاباً • فدفعتك الى نفس الشعور

دفعاً ٠٠ اما اليوم ٠٠ فما الموت أمام الخلق ٠٠ نحن اليوم لا نؤمن بالقطيعه بين
جيل وجيل ٠٠ نحن لا نقيم وزناً لما كنا نعتبره طلاقاً ٠ ولهذا السبب نحن لا
نخشى الموت ٠ اتعلم يا صديقي انك اخرجتني من مأزق ٠

فقلت مندهشاً : وای مأزق يا ترى ؟
قال : اللوحة ؟ اذا كان لا مفر من اسناد عنوان لهذه اللوحة فقد اتيتني
بالعنوان واخرجتني من مأزق ٠ ساسميتها « نظام » انظر ٠

نظرت الى اللوحة ٠٠ الى تلك الخطوط والالوان والاشكال الغريبة المتنوعة
المضطربة فلم اجد في بادى الامر ما يخول اطلاق العنوان على اللوحة ٠ وطفق
الهادى يحلل تلك المجموعة من الاشكال تحليلاً لوسمعه المحسن لطار طائره
وانصرف مرغياً ، لكنى استمعت اليه باهتمام وشوق ٠ كنت اعلم انه لا يعتمد
الى تفسير مضمون اللوحة فلم يكن ليصدق ذلك قطعاً بل لم تكن اللوحة الا
منطلقاً ومطية ٠

٠ النظام المطلق والشبه المطلق يلتقيان حتماً في مكان ما من القطب ٠٠٠
في نفس المكان ٠٠٠ في نقطة واحدة من القطب ٠ خذ تلك مثلاً في الدولة ٠٠
الدولة هي القطب ٠ فكل المناقضات التي يبرزها تفاوت الطبقات وما يميز
المجموعات البشرية تنسجم وتظهر وتتلور في وثيقة هي اساس النظام ٠ فكل
شيء يتطور يتحول الى شيء آخر ٠ وربما الى نقيضه تماماً ذلك لان الواحد
والواحد شيطان مختلفان متباينان والواحد نفسه لا وجود له لانه يتميز عن
نفسه كالانسان وظله كالشمس وصورة الشيء في المرآة ٠ الحياة يا أخى حوار
مستمر أبداً فان استعصى الحوار بين الواحد وغيره كما استعصى بين سميرة
وبيني في يوم ما أمكنك الحوار مع ظلك نفسه أو مع صورتك في المرآة ٠

وهنا تذكرت ما دار بيني وبين الهادى من حديث يوم سألته عن سر التمثال
الذى انتصب بهذا مكتبه كالحارس الامين وعن تلك المرآة التى انصقها بوجه
التمثال كالعنوان بظاهر الكتاب ٠ سألته آنذاك :

٠ أتكون قد تخليت عن الرسم وطارقت الآن ابواب النحت ؟ تماثلك هذا
جميل ومحير في نفس الوقت ٠ فما رأيت مرآة على وجه اثر من آثار القدماء
والمحدثين قطعاً ٠ فما سره ؟

فاعلمنى الهادى فى ذلك اليوم لاول مرة بما كان يجرى فى بيته من أحداث
لم اكن لا تظن اليها أنا صديق الزوجين من أمد بعيد • أعلمنى انه لم يعد فى
امكانه العثور عن وسيلة ما تبدد ما تلبد فى سماء الحياة الزوجية من ندف
السحاب والدخان والعفر والحرس •

– التمثال اول ما نحت وربما لن انحت بعده شيئا •• هذا ظلى نحتته فى
جذع سنديانة مسنة صعقتها الصاعقة فى ضاحية من غابة عين دراهم • فى
طريق قرية بيبوش •• نحتته يا اخى لا تمكن من الحوار •

مسكين صديقى الهادى •• انى لاذكر ما كنا نعلق على الحوار من آمال ايام
الشباب واذكر من رسومه العديدة تخيل الواحة وتلك الظلال الممتدة على الارض
عند الاصيل كان يتفتن فى تصويرها فيضفى عليها من الجمال ما يبلغ الروعة •

– هذا ظلى نحتته فى جذع سنديانة صعقتها الصاعقة • نحتته لاتمكن من
الحوار •

طفق الهادى يحلل لوحته التجريدية فى طلاقة • كنت استمع اليه فى اطراق
وكانى أشرب كلامه شرباً •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– علمتنى الحياة •• وماذا علمتنى ؟ الفقد •• المرض •• الوحدة ••
لقد علمت الدهر •• بل قتلته اختباراً واختباراً •• عبت كل هذا يا صديقى
وافظع العبت ما نسميه بالتجربة •• وهل للانسان ان يحرب ما يشاء ؟ نحن
لا نميز الصبر من التجربة •• نحن نتحمل التجارب فى استسلام وخنوع ولا
نعيشها فاعلين واعين • وهنا المشكل مشكل المعذبين فى الارض •• مشكل
المعذبين فى الارض •• مشكل الخبراء •• فما تنفع الخبرة اذا كانت قضاء
محتوما •• نحن يا اخى خبراء لا عارفون • ولا يذهب بك الظن فتعتقد انى متبرم
بالحياة قانط متطير • فانا خلافا لما يمكن ان تعتقد متعلق باهداب الحياة قانع
صابر • لكنى بصير حساس ولهذا رفعت التمثال لآخرج من المازق وافتح
ابواب الحوار • علمت ان الانسان كبد الكون وقلبه النابض فما آتذا وحدى أمام
ظل الكون أحاول أن أفهم •• أن أتذوق مر الكون كالقهوة فى فنجان جرعة
جرعة • لقد وجدتنى ولم أجد فى غيرى مؤنسا وجليسا •• أنا كبعد الارض
وقلبها النابض • فاذا كان لا بد لكل عداء وقفة يتنفس فيها الصعداء فهذه

وقفتى وانى لأطير فرحا لمجرد الشعور بهذا اللقاء .. لقائى مع نفسى فى كل وقفة . وانى لأحاول ان اجسم هذه الوقفات على هذه القطع من القماش كما ترى لا شىء سوى انها وقفات خالدة . فدعنى اقور الزمان اقصره إربا . الناس يقصرون الزمان ، يضيعونه سدى وأنا أجمع قطعه فى حذر واعتناء واحتفظ بها واذود عنها عند الاقتضاء كجامع طوابع البريد .. كجامع التحف والآثار . فلم اتذمر وهذا ظلى تلقائى يحاورنى فى كل حين . المهم يا صديقى ان نحيا وان نتمسك بانسانيتنا أبدا على ضعفها وبساطتها . فهى الأساس . الانسان البداية والانسان نهاية كل شىء . وكل حضارة لا تؤمن بالانسان ميتة لا محالة ان عاجلا أو آجلا .. لو ملكت يا صديقى مسطرة المحسن الحسابية لطمست ارقامها بهذه الحقائق .. بهذه الدقائق بهذه الوقفات . هنا تكمن الحياة فى تحدد معجزاتها فى شبابها السرمدى هى فى شعاع شمس الصباح وبسمة المولود الجديد وجلال الظل الباسق وعتو الجبل الشامخ وديب النمل الساعى أبدا . انظر يا أختى .. الحياة فى هذه اللوحة بين هذه الاوراق الخضراء تخترقها اشعة الشمس فى خيلاء وانزلاق وانثبات . هى فى فرحة الكون العارمة .. فى أصول الاشياء وفروعها ... فى الاشياء وفى ظلالها .

تركت الهادى فى ذلك اليوم وقد ازدحمت فى رأسى الحواطر . قلت فى نفسى أهذا ما تسميه سميرة بالإدواج الشخصية ؟ لقد ادعت امام الحاكم ان زوجها لم يعد قادرا على تحمل مسؤولياته وقالت انه من عباذ الاوثان وانه يقضى الساعات الطويلة امام تمثاله المشؤوم لا يتكلم ولا يتحرك فى غيبوبة كاملة فى انعزال مريع . أليكون الهادى صاحب الوقفات غبيا مفلسا كما قال لا شىء سوى انه آمن بالانسان وبالحياة ؟ فاذ كنت اغبطه على هذه النفائس التى تكمن فى صدره فقد أكون بدورى غبيا وقد أكون مفلسا .

وجاء الصيف ففرق بينى وبين الهادى . فقد تعودت منذ سنوات أن أقضى اشهر العطلة المدرسية على شاطئ قلبيبة الجميل الوديع فى معزل عن ضجيج العاصمة ومشاكل الحياة اليومية . وكدت انسى الهادى وانسى مشاكله لولا رسالة وصلتني من العاصمة قبل اسبوعين سأحتفظ بها ما حييت لطرافتها .

« التحقت فى الايام الاخيرة ببعض الاهل فى جزر قرنة ... أنت لا تعلم ولا شك أن لى بهذه الجزر اشلاء عائلة للوالدة أُمى طيحتها رياح الزمان من أمد

بعيد • ثم ان السياحة قد اقتحمت البحر وبسطت سلطانها على هذه الرقعة من الارض منذ عهد قريب فرأيت أن أقف بنفسى على مدى هذه الحملة الجارفة العارمة واعتزمت فى نفس الوقت ان اعود من الجزر ببعض « الوقفات » فغادرت المنزل لا ألى على أحد • فانت تعلم ان السيدة زوجتى السابقة قد استحلّت ما كان بالبيت من اثاث اعتقادا منها ولا شك ان الفنان لا حاجة له فى متاع الدنيا • غادرت المنزل اذن ولم يكن يشغلنى غير التمثال • فقد خشيت والله ان يطلع على البيت سارق فنان فيقتحم الاقفال ويبتز ظلى واللوحات • فعنت لى فكرة لعلى وقفت عليها فى احدى القصص البوليسية وقد قرأت من هذه القصص كما تعلم مجموعة مجترمة فى سننى الشباب • فكرة غريبة ولا شك • وضعت مسدسى الصغير فى يد التمثال وربطت بلسان المسدس خيطا شفافا متينا او ثقت طرفه الثانى بقلل باب الغرفة • وقلت فى نفسى : لو فتحت الباب يد قاهرة فعلل الحيط ما يفعل الاصبح بلسان المسدس وخسر المختلس صريعا على عتبة الباب ضحية نهجته وتجربته • ورجعت من الجزر مساء الامس فى ساعة متأخرة من الليل • لمفلت انتباهى ضوء الغرفة الخليفة من خلال اشجار الحديقة فعلمت أن بالبيت زائرا غريبا وكنت واثقا من موته او عطبه اذا سمعته الحظ ولم تصبه مصابة المسدس فى القلب مباشرة • لكنى أخطأت فى ظنى ووجدتنى بعد برهة أمام عميللى متوحش كان يتأهب لمغادرة البيت وقد استشاط غضبا • ودار بيننا يا أخى حديث لا يخلو من طرافة والحق يقال • علمت انه كان على بينة من أصحاب البيت وانه ترصد الفرصة أكثر من شهرين قبل ان يقدم على فعلته •

— صاحب هذا البيت كما ترى رسام مفلس وقد تخاصم مع زوجته فهجرته منذ أيام فهو لا يقيم بالبيت الا لاما • معه الحق • فمن يستطيع القيام ببيت كهذا مقفر موحش لا تدخله اشعة الشمس • فان كنت مثلى ترتاد رزقا فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (وأشار هنا الى التمثال) وارجع من حيث أتيت فارغ اليدين • • • هذا البيت قفر قفر ولا فائدة فى اطالة التوقف فلا تضع وقتك سدى ولا تحاول • أمرى وأمرى على الله •

قال هذا طبعاً بعد أن هدأت ثأثرته وخرج من الفزع الذى اعتراه وانا أفاجئته فى تلك الساعة المتأخرة من الليل « كما لو كنت صاحب البيت عاد من سفر » • لكنى طمأنته واستدجته الى الاعتقاد بانى سارق مثله وان من مصلحتنا ان

نشتريك عن طيب خاطر وسلم الرجل بشذوذ الموقف ما دام البيت قاعا بلقعا
« قفرا قفرا » كما قال :

- وهل فتشت طويلا يا أخى ولم تعثر رغم ذلك على شيء .. انك تحيرنى
وتخبى كل آمالى .

فقال متحسرا وقد طأطأ رأسه :

- آسف والله على خيبتك .. لكن .. الحالة هذه .. الساحر نفسه لا
يخرج الحمامة من الوعاء الفارغ الا اذا كانت الحمامة فى كفه أو بين طيات
قميصه .

قلت وقد غمرتني غريزة القط فجأة :

- سأخرج الحمامة من مخبئها به اذن - وسترى كيف افعل .
واردفت فى استخفاف بالغتم فيه ما قدرت :

- السرقة فن يا أخى .. وهى ككل الفنون تلقن ... اتبعنى وسترى
العجب .

وتبعنى الرجل مستسلما وقد حيرته وعقدت لسانه . وطفقت اضرب فى
البيت طولا وعرضا دون تسرع أو اضطراب فاحتار فى أمرى وسألنى :

- الا تخشى ان يطلع علينا صاحب البيت هذه المرة ... عجل يا أخى ولا
تركب رأسك .

- دعك من صاحب البيت الآن واتبعنى . هل لك يا أخى فى شيء من
الطعام نسد به الرمق ... انى والله لجائع وفى هذه البرادة كم اترى ما يسمن
ويغنى من جوع .

وهنا حملت فى وجهى طويلا ففهمت انه اخذ يرتاب فى أمرى وخشيت ان
يفضح السر فاقضى بقية الليل وحيدا وكنت فى حاجة الى جليس . سألته :

- رأيت بيدك الساعة مسدسا فما فعلت به ؟

فقال فى اضطراب ظاهر حاول ان يكبته عبثا .

— آه .. المسدس .. هو فى جيبي .. هو ذا .. أتدرى من اين لى هذا المسدس ؟ لو لم أحذر عند دخولى هذا البيت المشؤوم لكنت الآن فى عداد الاموات عافاك الله .. نعم .. يا أخى فى عداد الاموات .

وقص على قصته وكان بين الحين والآخر يلعن التمثال وصاحب التمثال فى اضطراب شديد فينقطع عن الاكل من أثر الصدمة . قلت :

— كل يا أخى وانس الآن ما حدث ... نحن فى مأمن من كل طارئة غائلة ما دام فى جيبك هذا المسدس . كل واشرب فنحن عصبة ... أنا وانت والمسدس .

فقال وقد اعتدل فى جلسته وتنحنع فى لؤم .

— ان لك والله جوابا عن كل سؤال . نحن اذن عصبة . نسيت المسدس . أكلنا وشربنا ثم عدنا الى البيت نغلبه رأسا على عقب فى دقة أعوان الامن فى مهمة رسمية فلم نهمل شاردة ولا واردة . كانت المغامرة قد لقيت هوى من نفسى اذ كنت لها مهبأ .. كانت مليئة بالمفاجأة وكنت فى اشد الحاجة الى الخروج من رتابة ايامى الاخيرة . قلت للرجل والحصيلة تتضاحم امام عينيه المسدس وهتين :

— العلم يا أخى أساس كل نجاح . العلم والمهارة طبعاً .. علينا ان نغادر هذا المكان دون ان نترك اى اثر من شأنه أن يقتفى عاجلاً أو آجلاً . انظر كيف تفتح الجارورات ... المفتاح المناسب يقتحم كل الاقفال دون كسر أو قلع أو تحطيم ... عمل نظيف كما ترى .. نظيف شريف . صاحب البيت هذا اعرفه وأجله وارثى لحاله .. فقد خائنته زوجته وهجرته ... فهو رجل مسكين .

— مسكين ... بل قل انه اسعد مخلوق على وجه البسيطة .. لقد طلقت من النساء ثلاثاً وبالتلات دون رجعة ... اترانى مسكيناً ؟

— لكن .. هى التى طلقتك وكان يحبها الى حد العبادة . فهو اذن رجل مسكين . هى ايضا لم تترك اثراً يقتفى .. فقد امحت من هذا البيت كما تنقش سحابة الصيف . لعله الآن يستخذى للنسيان .. لم ينبج منها أطفالاً

والله الحمد فما كان ليستطيع أن يقوم بأعباء هذه المسؤولية أيضا ... آه ...
ها قد فرغنا من عملنا الآن وعلينا أن ننسحب من هذا البيت بسلام *

– آمنت والله بعبقريتك يا أخى ... لقد علمتني سر المهنة وسوف أدين
لك بهذا ما حييت *

وسكت الرجل ساعة ثم اردف فى مهل وكثير من الحذر :

– لقد عنت لى الآن فكرة * ما دمنا على هذا الوفاق ... و ... والتكامل
فانت ضعيف ماهر وأنا قوى بليد ... فلم لا نخلق من الضعف قوة كما
يقولون * لنتعاضد يا أخى * وستجدنى الى جانبك فى السراء والضراء *
ساكون عند حسن الظن * فقد حفظت عنك الكثير و ...

فقاطعته والله على مضض ... لقد اعجبني المغامرة واستطبتها كاطعام
الشهى كثير الابرار يذع نذعا * لكن ... لكل مغامرة نهاية :

– آسف يا أخى ... التعاون على البر والتقوى وليسنا من المتقين ...
خذ ... لك كامل الحصيلة ولنفترق الآن على أن نلتقى فى يوم من الايام ...
من يدري ...

فاستغرب والله من أمرى وما صدق ما سمع ... وطاطا رأسه من خجل
وخيبة ثم قال :

– ترانى عاجزا عن شكر القدر الذى مكنتى الليلة من فرصة التعرف الى صديق
نبيل مثلك * الصداقة فى نظرى خير من ألف غنم وان لك من اليوم فى هذه
الارض صديقا ودودا مخلصا أميناً ... سنلتقى لا محالة يوما ... نعم ...
فانت المحترف وأنا الهاوى ... وشتان بين الهواية والاحتراف ... لكن ...
الصداقة فخر وهى تأتى بالعجب * أليس كذلك يا حضرة « الكبران » ... أنا
اسمى « برهوم » لا تسمنى يا كبران *

وهم الرجل أن يودعنى بعد أن وسمنى هكذا وقد تدرجت من عينيه دمة *
« الكبران » ... الاعجاب شعور انساني فى كل مناسبة ولا اخفى عنك

يا صديقي انى اعجبت بهذا الرجل ايما اعجاب • لعلك تقول فى نفسك الآن :
هذه نزوة اخرى من نزوات صديقي الهادى ••• لعلك تذهب الى الاعتقاد بانى
فقدت الرشيد تماما واصبحت اهذى كالمحموم ••• كلا يا احدى كلا ••• انا الآن
فى نشوة ••• لقد اهديت « برهوم » كل ما املك ••• عن طيب خاطر ••
بل قل ما تبقى مما كنت املك وقلت له مودعا •••

— قل يا برهوم ••• الا ترى ان هذا التمثال الزنيم البشع قد كاد يمنعنا
من هذا اللقاء الفريد ؟ لو ارداك قتيلا لكانت خسارة ولذهبت صداقتنا ادراج
الرياح ••

قال والغيض يتطاير شررا من عينيهِ الواسعتين :

— ساهشم رأسم واجعله عياء منثورا •

وهم يا احدى بتحطيمه أمام عيني وايقنت بدنو ساعته لو فعل • فحلت دونه
ودون التمثال وقلت اهدى من روعه •

— دعك من هذا ولا تفعل •• لك الحصىلة وكل هذا التمثال •• ساخذه
واحتفظ به ما حييت للذكرى ••• الا تريد ان اذكرك بخير •

فقال وقد افحمته واخجلته :

— آمنت والله بعبقريتك يا حضرة الكبران •• الذكرى •• نعم •• نعم ••
اذكرنى بالله بخير •

ورفع الحصىلة ورفعت التمثال وافترقنا وقضيت ليلتى •• اتدرى اين
قضيت ليلتى ••• كلا ••• انك لا تدى •••

كان الشارع فى تلك الساعة قفرا قفرا • ثم تفرقت قطرات من مطر هادى
داخى • كانت تساقط من سماء منخفضة فى ظلام ليل صيفى تكتنفه السحب
وتدثره الرطوبة • ظللت ارفع السمع لهفهة تلك القطرات وهى تقع على
اوراق الشجر فى خفة وأناة ••• همسات حية كانت تنفذ الى صدرى سلما
واطمئنانا •• وطار الشجر يا صديقي وكان مع السحب على موعد • ولم يطلع
الصباح •

مصطفى الفارسي

8 و 9 - 1968

الخنزاع

بقلم : محمود التونسي

العالم ينظر الى العالم ، وأنا أنظر الى نفسي . وهل يوجد شيء أكثر اصحاحا ، وهل يوجد شيء أكثر غباوة ، هل يوجد شيء أكثر متعة ؟ ..
الآن .. الخط الممتد لاغير .. الخط الممتد .. وهل توجد سماء أكثر زرقة وصفاء ورحابية وامتلاء ..

والآن .. هذا قلم لاغير .. وهل يوجد شيء أكثر جهلا وظلمة وبؤسا وخضوعا ؟ ..

والآن .. هذا حجر .. الحجر لاغير .. وهل يوجد شيء أكثر ضجيجا ، لا غير ..

والآن .. الماء .. الماء .. الماء كما يعرفه كل حي

والآن .. دخان .. دخان .. دخان

والآن .. البعد .. أنا بعد .. أنت بعد .. هو بعد .. هي بعد .. البعد لا شيء غير البعد .. وهل يوجد عالم أكثر وحدة .. أنا بعيد .. أنت بعيد .. هو بعيد .. هي بعيدة ..

والآن .. الحب .. نساء تنصت الى الموسيقى .. خمس دوائر منحرفة ، مغلقة على مدى مغلق .. ثلاث نقط بيضاء ، مشدودة بخيوط ملتوية .. ثلاث نواير دقيقة لا تدور ، شكلها يوحى بلدوران .. لعلها ثلاث زهرات قد ماتت الكونتروباس أصبح رجلا مشدبا اسنانه بارزة ..

ثلاث مثلثات : دمية على شكل « طانيط » حلزونة حديدية ، نقطة مضاءة وزاوية حادة ، ودائرة مفرغة ، نقطة مضاءة وخط منحني ، ودائرة مفرغة نصفها يسده من الخلف امتلاء ابيض .

الرجل عينه كالقمر • الرجل عينه كالشمس ! • عين الرجل تدور داخل نفسها •

الرجل ينظر الى النساء ، والنساء تنصت الى الموسيقى •

والآن ! • • الموسيقى : الموسيقى لا غير • المرأة تمديدها الفارغة ، وفي يدها الاخرى نهدها • ونهدها تفاحة حمراء • احمر الكرسي التي تجلس عليه • متكأ الكرسي هو ظهر المرأة ، ورجله ساقها • المرأة هي الكرسي ينصت الى الموسيقى • والموسيقى هي الكرسي والمرأة • والمرأة والموسيقى والكرسي ينظرون الى العالم • والعالم ينظر الى نفسه • وهل يوجد شيء أكثر غباوة ؟ • •

امراة رأسها سمكة وهي كرسي • • امرأة وموسيقى • • كرسي وامراة • •
http://Archive.org

والآن ! • • العالم • العالم ولا غير • العالم ما ابلده • • العالم ما أحقره ! • العالم ولا غير • • ألا تراه • • ؟ لا يساوي أية صورة • انه اى شى • • الا تراه ؟ انه اية فكسرة •

انظر • • والآن ! • • العالم • العالم ولاغير وشمة على جبين نجم • • أزرق اذا أردت • • أخضر اذا أردت • • عنصرا زخرفيا ، تيممة للحصانة اذ أردت • • هويذة ، سحرا اذا أردت • • انه العالم • انه اى شى • • لنقل : انه حديد واقف أين اتفق شكله ، كما اتفق لونه ، كما اتفق طعمه ، كما اتفق • • عالم كما اتفق • • انه العالم الذى ينظر الى العالم كما اتفق فيراه كما اتفق •

والآن ! • • سوف أروى لكم قصة :

ذهب أحد العلماء فى رحلة طويلة • وبينما هو سائر توقف أمام غابة كثيفة • لم يكن يتوقع أنه سيجد تلك الغابة فى ذلك المكان • فتح خريطته

•• نظرا بعيرا •• لم يجد لوجودها هنالك اى مبرر جلس ووضع يده تحت
ذقنه ، وفكر • وبينما هو يفكر وجد نفسه قد توغل فى الغابة • من عادة
المكتشفين أنهم لا يستسلمون الى سر الطبيعة • أما أن يتجول الانسان داخل
نفسه فذلك شئ آخر •

وعاد الرجل بأشياء لا معنى لها •• أدخلها الى مخبره فى أول الامر • ثم
سلمها الى ابنه ليلعب بها •

محمد التونسى



فكرت الخفاف

بقلم : عبد القادر بالحاج نصر

- 2 -

إذا كان في العمل الذي نعمل فيه رجل
حيث ، يجب أن نقتله • معذرة سيدي القاضي •

وفجأة 1

... وفجأة ... وفجأة ...

... وفجأة ، وقف القطار ... أو تحطم القطار ... أو خرجت منه رائحة
نتنة • أو زاغ عن السكك الممدودة • وفجأة نسيت أنه توقف ، وأنه قبل
ساعات سار متمهلاً إلى الشرق أو إلى الغرب • وأنني قد جئت مدينة مات فيها
أبي ، أو ضاعت سيارته ، لا أدري • وأنني مشيت في طريق خالية حتى
المحطة الحالية لانتظر القطار • وأن آخر الطريق تجتمع بأواخر طرق ثلاث
حادة ، مدينة ، لا يمكن الرجوع منها •

... وفجأة •

دار رأسي في العربة ، وأحسست به يتجمع ويتقلص ويتألم كالقبضة
المجمعة في طريقها إلى الانطلاق • أحسست به يدور ، ويريد أن يزوغ عن
مكانه ويخرج حيث مدار السحب والرياح والبرد ، وحيث تمتد الأرض على قفر
موحش ، أو منبسط أهل

... وفجأة !

نسيت كل هذا .. نسيت كيف أصبح رأسي كالقبضة ، وتذكرت زوجتي .
ولعنت الذكريات . ثم اكتسحت طيف زوجتي ، ووقفت بي الذاكرة في مكان
كنت بصقت فيه ذات يوم ، وبصق فيه بائع البيتسة ، وقد سألته :

- لماذا تبصق ؟

وسألني هو :

- وانت لماذا تبصق ؟

- لا أدري ما الذي يدفعني الى أن أبصق .

- في يوم من الايام أحسست أنني حزين الى أبعد درجة . كنت جائعا .
كان صندوق البيتسة فارغا ، وضعت في هذه البقعة بالذات ، وجلست عليه .

- يؤسفني أنك قد تأملت .

- لقد كنت جائعا .

- واليوم !

- يتحدث الناس عن عربة كبيرة ستغر من هنا . سيكون باستطاعتنا

أن نأكل جميعا . يقال : اننا لن نجوع ، او اننا لن نعطش ، اننا لن نتعري ،
اننا لن نمرض .. ولكن يجب أن نترقب العربة الكبيرة .

- ومن الذي يسوق العربة ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- لا أحد يعرف . ولكننا نعرف أنها حين تصل ، حين يقال هي ذي عربة ،

يجب أن نجرها . أن نمكن منها أيدينا وقلوبنا .. نجرها حتى تعرق جلودنا ،
فاذا عرقت تناولنا القماش ومسحنا العرق ، نجرها حتى نجوع ، ولعندنا
نتناول طعامنا ، يقال : انها الطريقة الوحيدة لكي نستطيع أن نعيش .. لا
شيء يمكن أن يعوضها . انها عربة جديدة كبيرة صنعت من ، ومن ، ومن .

- لا أريد أن أحدثك

- لماذا ؟

- أفضل الانتظار .

- الى متى سانتظر .. ؟

- الى متى سانتظر ؟

- أجل !

- لا يمكن أن أعرف .

- أنت تتصرف كالحیوان .. كالحیوان تترقب .. كالحیوان تقبل الاشياء .
 - اذا كان لا بد ان أتشیث بالعربة لكى لا أموت جوعا ، فلا بد ان أفعل .
 - وماذا تدفع فى سبیل ذلك ؟
 - صندوق البیتسة .
 - صندوق البیتسة فارغا ! أنت مجنون .
 - لا أملك غیر هذا الصندوق . العربة تريد ان تلم كل شیء .. كل شیء .. هى تقول هذا . لقد قيل : ان هذا مكتوب بالاحرف الغلیظة على خشبها .

- واذا أخرجوك ! اذا قيل ان صندوق البیتسة ليس ضمانا كافيا ! ؟
 - اذن سأفصرج .
 - كيف ستفصرج ؟
 - سأضحك .. اننى أحسن الضحك .. أستطيع أن أقهقه بكل رثى حتى أموت .. أومن بشیء طوال حیاتی ، اذا لم أتعش وجب على أن أقهقه .
 لماذا تحك رأسك لماذا تنظر هكذا ؟ لماذا تلتفت ؟ أحيانا يجب علينا أن نضحك لكى نموت ببطء . لكى نستطيع ان نتنظر . يجب ان نضحك .
 ... وفجأة !
 وفجأة .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان على أن أتأكد بأنى مازلت محبوسا فى قطار .. وان القطار قد توقف ، ولا يهمنى .. المهم .. هناك شیء لابد أن ألاحظه .
 « أنا فى العربة أنتظر شيئا »
 « بائع البیتسة على الرصيف ينتظر شيئا »
 « عائلتى فى المدينة تنتظر شيئا »
 « السوق تترقب شيئا »
 « الصومعة ، والساقية ، وكل السواقي تترقب شيئا »
 « كل شیء ينتظر شيئا »

أنا فى العربة .. العربة الصغيرة مكان جميل .. العربة وحدها تنتظر شيئا .. خشبها سيبقى هكذا الى أن يتحطم القطار او يهرم أو يبتلعه البحر . شیء يقلقنى فى كل مكان أجلس فيه : لماذا يجب على أن أنداح الى اليمين او الى اليسار . طبعاً غیر ممكن أن أنسى وضعى تماما .. مفروض أن أتخذ موقفا

من نفسي .. أن أعرف الى أية جهة أنظر .. وأن يعرف الناس ... لكنني
في حالة انتظار ... كل الأشياء تنتظر .

... وفجأة !

نظرت الى أدايشي التي أحملها . مدت يدي أنحسبها . ثم مدت يدي
.. ورفعت الادباش الى فوق ، وضعتها فوق ركبتي الى أن أحسست بثقلها .
رفعتها الى أعلى حتى لامست صدري ... شعرت برطوبتها، وخشونتها ... ضمنتها
الى صدري ... سقطت من بين يدي ، وانحل حزامها . وتفرقت على بلاط
العربة ، وظلمت أنتظر أن تتجمع . أن تلملم بعضها . أن يتحرك الحزام ، ويدور
دورته العادية على الادباش ، فتصبح كتلة واحدة . ليس هناك أشياء تستطيع
أن تصبح كتلة واحدة . أبدا . أن هذا لن يكون . مادامت الادباش غير متساوية
الاصناف . ما دامت لم تكن كلها من صنف القميص أو في قيمته فانها لن
تتجمع . أن أي حزام سينقطع كما تقطع حزام أدايشي . وأخيرا هل نستطيع
أن نجتمع الأشياء إذا لم تكن في وسطها . أبدا ! أن الكذب لا يحتمل . حين كنت
أجمع أدايشي ، وأنا في المحطة . كنت متأكدا من كذبي ، من دجلي ، ولكنني
كنت أقنع نفسي بأن الكذب على الأشياء مجازا . إذا كان لابد من أن أقوم بدور في
الحياة . عندما كنت أحزم أدايشي الى بعضها وأرصنها وأسوي عوجها ، وأفس
انتفاخها ، وانفع انطباقها ، كنت متأكدا من أنني أقوم بعمل فاشل . غير أنني
لا بد أن أعمل شيئا لاخدع نفسي حتى أعيش ، حتى أحافظ على وجودي حاكما
على هذه الأشياء المجتمعة ، المتنافرة التي لا تعرف سببا لاجتماعها . ثم ما هي
هذه الادباش ؟ قميص نيلون . وسروال كاكي . وجبة وزاورة . وقبعة
كبيرة كمظلة المطر . وقطعة كاوتشو ! انها لاتساوي شيئا . ولكن يجب أن
يمتد سلطاني على أكثر ما يمكن من الأشياء . لتضحكوا أو لتصفقوا إنها
قطعة كاوتشو مدموسة في أدايشي . وملحفة .. و .. و ..

... وفجأة !

رجعت بي الذاكرة . مرة أخرى أعود من نفس الطريق ، أنحسب الماضي
القريب حين وضعت ساقى على مدرج القطار وبقيت جامدا ، ثم حركت خطواتي
حين صفر القطار .. وحين تحرك ظللت اتأرجح في المدرج . لقد رأيت في

المدينة ، وأنا أغادرها ، منازل كبيرة عريضة ذات غرف كثيرة فمن يسكنها ؟ ولماذا أسكن أنا في غرفة ضيقة . وبائع البيتسة على الرصيف يترقب العربى الكبيرة . وأكثر هذه المنازل لرجل واحد ، أو لعائلة صغيرة . وأكثر هذه العائلات لها مال كثير مجدد فى منازل كثيرة من الاحجار . . . والتراب . . . والثريات المضيئة . . . وصاحبى يترقب العربى الكبيرة . . . وأنا أترقب القطار . . . ووجه أمى فى المدينة يترقب . . . ظللت فى مدرج القطار واقفا كالشئ واقفا . . . وظلى يمر بجانب القطار . يمر كالطيف يتكسر على الاحجار وعلى التراب وعلى الاجراف ، يطول ويقصر ويتناول ويتضاءل ويختفى ثم يظهر فى البعيد وينراجع الى ان يلتصق بى ، ثم يتقلص .

وفجأة !

نسيت . . . تذكرت . . . ضحككت . . . قهقهت . . . وتأرجحت الدمعة على خدى ، وأنا اضحك .

وظللت الدمعة فى تأرجحها الى أن سقطت على صدرى . . . وقد كفت عن بضحك وبدأت أتألم . . . هم لا يعرفون طبعاً أتلى أتألم . ان تحت قشرة وجهى يختبئ مرض كبير ، سببه الانتظار والضيق . هم لا يعرفون . لا يفهمون . لا يدركون . . . اننى اغالطت نفسي . . . لا أستطيع أن أراجع الى الوراء ، لا أستطيع أن أقول لادباشى « عفوا حين دسست معك قطعة الكاتشو كنت غالطا كنت غالطا . لان . . . لانى مسؤول عنكم لا أستطيع ان اتخلى .

... وفجأة !

ماذا بهم أن أنتقل من مكان فى الزمان الى مكان آخر فى الزمان . نحن فى وضع تكاد رؤوسنا تطير فيه . وكل خائر جامد ميت يجب أن يبقى فى مكانه . هناك أحجار كثيرة ظللت فى مكانها حتى اندثرت . . . تساءلت هل القطار فى طريقه الآن الى الغرب أم الى الشرق . أم هو واقف فى مكانه ؟ وأية مدينة يقصد ؟ حقا اننى لا اعرف الى اين ساذهب والى أى مكان يقصد القطار . لقد كان فى نيتى أن أخرج من تلك المدينة التى جاءنى منها خبر غير محدد عن أهلى ، وكان لكى لا أصطدم بالخبر يجب أن أفر على أن أبقي بين الامل واليأس .

... وفجأة !

تذكرت اننى فى العربى أنتظر • وأن بانع البيتسة على الرصيف ينتظر •
مرات عديدة أتيت الى مكانه • وقفت بجانبه فالتفت ناحية أخرى • وضحك •

اسأله •

- أنت تضحك •

- أنا أنتظر •

- تنتظر ماذا ؟

- العربىة •

ينتقل من مكانه ، يبتعد عني ، يصل الى جدار يعود منه ، يقف بجانبى •
يسألنى •

- لماذا أتيت هنا •

- لتتقرب العربىة معا •

- ولكنك تكذب •

- كيف اكذب •

- انك بور جوازى • ان طراوة يدك لن تتحمل دفع العربىة معنا •

- اذن سأترقبك • سأكون • شافى • عليك •

- الموضوع هو • هو • • • • • سيرجمنك بالحجارة • ان بانعى البيتسة
سيرجمنك • ليسوا فى حاجة اليك • ليسوا فى حاجة الى مراقب ، ولا الى
شاف مثلك •

(يتفعل • • • • • يضع عن أفكاره • ينقلب على عقبيه ، يصل الى الجدار •
يغيب عن ناظرى • • • • • ثم يتدرج وهو راجع الى • • • • • فأسأله :

- ماذا تترقب ؟

يضحك بكل شديقه •

- أترقب العربىة • أترقب العربىة • • • • • أترقب •

• • • • • وفجأة !

عدت الى مدرج القطار • • • • • عدت الى ساعات خلت • • • • • عدت انظر • لا شيء
غير السواد •

الفجر لابد أن يحدث بعد قليل • سيغير هذه القشور الطويلة • والابرار
الداكنة سيخطط ثوبا جديدا • رجلاى على المدرج ، ولابد أن يكون المدرج باردا •
ولا بد أن البرد قد وصل الى لحمى • ودمى • • • • • ولابد أننى أحسست به • • • • • غير

أننى لا أستطيع التمييز بين الآلام • ترى لماذا يترقب بائع البيتسة العربية الكبيرة • ترى لماذا أترقب انا العربات • انى أعرف جيداً حركة العربات خاصة اذا كان الوقت شتاء • خاصة اذا لم تكن لديهم مظلات • انها تفرق فى الطين ولا يمكن لاي كان ان يزحزحها • كثير من ينخدع بصنع عربية فيفعل • وكثير من يلزم غيره على جررها • ولكن كل هذا يحدث تحت الشمس دون أن يمر الشتاء بالبال • التاريخ وحده يبقى فيه شيء من الجمال حين نقرأ أن عربية قد غاصب في الوحل ، وأن سائقها قد ضاعت قبعته ، وأن اطرافه قد تجمدت وحاول أن يدفعها وان ينقذها • ولكن بدون جدوى ، وأنه قبع وسطها ، وأن الثلج قد سقط عليه طوال ليل ، وأن زاده قد نفذ ، وأن دقائق قلبه قد اختلت وأنه بدأ يموت ، ثم مات ، وأن نوابا عن جمعية الرق بالحيوان قد أنقذوا الدابة بعد أيام ، وحملوا السائق بدون ضجة بعد أن أزاحوا عنه كتل الثلج ، ودفنوه في قبر بسيط ، وأن العربية قد لازمت مكانها • وسيشرق فى صنع عربية أخرى ، ولكن حين نتوغل فى حرارة الصيف • ترى لماذا يترقب بائع البيتسة هذه العربية او غيرها ؟

... وفجأة !
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

وفجأة !

والقطار مسافر أو متوقف • تذكرت ان امرأة فلان قد امتطت الطائرة صباح أحد الايام الصائفة لتجرب آخر فستان وضعه مصمم ماهر فى فرنسا • وانها ستعود • وقلت لم لم تنشر الجرائد هذا الخبر • ثم تذكرت بائع البيتسة وقلت : انه ينتظر على الرصيف وقلت لم لم تنشر الجرائد هذا الخبر أيضا •

وقفت • شعرت بانى لم أعد متحازا الى اليمين أو الى اليسار فوق الكرسي العربية فارغة كالعلبة الفارغة ، كالمعدة الفارغة ، كالدنان الفارغة تقدمت • أمامى الباب • وفى الباب ثقب كبير • وخلف الباب والثقب • لابد أن يكون هناك شيء آخر • الجحيم مثلا • أو السماء ، أو الارض ، أو وجه زوجتى أو • • • ! • • • ان هذا لن يكون • وضعت عيني على الثقب • عربية أخرى فارغة وباب آخر • • • وثقب آخر • • • لو انتقلت الى العربية الاخرى ماذا يكون وراءها ؟ حين وقفت قبل ساعات فى مدرج القطار نسيت أن أعد العربات • ولكنى كنت متأكداً من أنها كثيرة ، لم يكن هناك أحد على المحطة حين وقفت

القطار • وحين استأنف سيره رأيت أحدا يجرى خلفه ، ولكنه بقى • بقى لينتظر • أجميل أن يكون الانسان وحيدا في عربة • تأملت أدبائى مبعة هي ككل شىء مبعة • ككل شىء غير حقيقى • ككل شىء مركب لقيط ساجرب من جديد أن أربطها بحزام • ولكن • • • وفجساة !

سالت نفسى : الا يعنى أن أفتح نافذة القطار ؟ يقولون ؟ ان ذلك ممنوع • لا يمكن لأى مسافر أن يفتح النافذة ما دام القطار مسافرا • يقولون ذلك بنفسى النهجة التى نتخيلها عند ما نقف أمام كتابة على حائط (• ممنوع البواب • • ممنوع البصاق • • ممنوع التدخين ممنوع تقبيل النساء اذا كانت حرمك او مما ملكت يداك • ممنوع عرى الافخاذ والمونيجيب اذا كانت المرأة غير جميلة • • وعدت أوكد • ممنوع فتح النوافذ • ممنوع • اذا كان القطار مسافرا • ممنوع التدخين • اقتربت من الادبائى ، أخذت القبة وضعتها على رأسى • كانت كبيرة ومفلطحة • ساعطيتها الى بائع التذاكر سابعها له ، انه صعلوك • ساقول له : انك رجل فقير اليس كذلك ؟ الفقير وحده يلبس هذا النوع من القبعات • يستطيع أن يتحمل عوجها وثقلها • أنا رجل منتفخ المعدة أنا رجل (• • • • •) ألا يعجبك أن تشترى هذه القبة • نعم اننى سرققتها اختطفتها الامر سواء • سرققتها من رجل غيرك وابيعها لرجل مثلك • هذا هو النظام • الامر ليس صعبا كما تتخيل • ستعطينى تذكرة سفر وسأسلمك القبة أرايت ، العملية ليست صعبة •

وفجساة •

رمى بالقبة على الارض • أخذت الجبة • لبستها • بقيت لحظات فى مكان واحد • تناولت القبة من جديد ووضعتها على رأسى وقلت فى نفسى ، ألا يمكن أن أصلي فى هذه اللحظة • ان بائع البيتسة لا يصلى • انه يرفض أن يفعل ذلك • كلما قلت له : ان الصلاة ضرورة يفرضها النظام ، يضحك ملء شذقيه ويقول انى أترقب العربة وكلما قلت : ان الصلاة عمل رياضى يضحك ملء شذقيه ويقول : انى فى حاجة الى الراحة • وأقول له : ان الصلاة صلاة • فيقول : انك رجل هرم • حقا انى هرم • أعرف هذا منذ زمن بعيد • ولكنى مقر العزم على أن أظل منتقلا بين هذه البالوعات • كنت أنظر الى ظلى متكسرا على جدار العربة • القبة أكبر من الجبة ! ماذا لو أصلي ؟ طبعاً انى أرفض أن أرفع مؤخرتى وأضع جبهتى الى الاسفل ما دام المطر لا يصب على هذه الارض •

لا أريد أن أظل في هذه المهزلة زمنا طويلا يقولون ممنوع التدخين ، وممنوع
البول . وممنوع البصاق . وممنوع تقبيل النساء وممنوع ان تجلس مستويا
على الكرسي زمنا طويلا وممنوع فتح النوافذ . والكلام .. والضحك والكلام
والغناء . والكلام والشخير . والكلام والتأوه .. والكلام ، والتنقل ما دام
القطار مسافرا . الصلاة وحدها ليست موجودة في أوراق الاعلانات .. والاشهار
.. والدعاية .. لا أحد يقول : ان الصلاة واجب كانهيأزك الى اليمين أو الى
اليسار فوق الكرسي ، لا أحد يقول : ان الصلاة حرام ما دام القطار مسافرا .
لا أحد يجرؤ على الكلام في هذا الموضوع ، وأن النظام في القطار لا يحدد موقفه
من الصلاة . ولكن ماذا لو اصرى الآن بالجبة والقبعة . الامر ليس خطيرا .
سأفترج على ظلي . كيف يتبدل .. يتشنج .. يرتفع . ينخفض . ساقلد
حركة المصلين دون أن أقرأ سورة واحدة ، سافعل هذا لارى ظلي ، وأنا أصلي .
يعجبني أن أرى ظلي على الاقل مادمت لا أرى صورتي على حقيقتها . كان عليهم
أن يضيفوا مرآة الى أجهزة هذه العربى ولو صغيرة ، ولو مكسورة ، ولو
مخدوشة . المهم أن تكون هناك مرآة .

... وفجساة !

رمى القبة على الأرض ، ورمى الجبة وأخذت أنزع ادبأشى قطعة بعد
أخرى . كنت أريد أن أتعرى .. أن أرى نفسى عاريا . اذ ليس هناك قانون
يمنع الانسان من أن يتعرى . خصوصا اذا كان وحيدا فى عربى ، أو غرفة ..
أو مغارة . ليس هناك قانون يمنعه من أن يرى عريه وشعره وجلده ، والامكنة
الخبثية والطبيبة فى جسده . وتساءلت هل تزوجتنى زوجتى لمكان خبيث فى
جسدى أم لمكان طيب فيه . ولماذا أهرب منها فى هذه الساعة . المكان خبيث
فى جسدها أم لمكان طيب فيه ؟ كنت أتعرى ، وكان الظل يتكسر على جدار
العربى . وكنت أحسب أن ظلى يتفاعل مع خشب الجدار . وبدأ الجسد العارى
يتجسم فى الظل . وبقيت أنظر فى صمت والصمت يخيم حوى . وقلت ألم
يحن الوقت لانقل للقضاة فقرات تلك الرسالة ليقرووها ، ليحكموا بالغياب
فى قضية وقعت . أو ستقع . أعرف أننى لن أنقلها الا فى حالة كهذه . فتشت
عن القلم . وكنت عاريا وكنت أنتظر . وكنت متأكدا من أن بائع البيتسة
على الرصيف ينتظر . وأن العربى قد تمر فى يوم من الايام . ولكن تسرى
هل أن صندوق البيتسة اذا كان فارغا ضمان كاف . قلت : أه لماذا لا يبدأ بائع
البيتسة الضحك من الآن .

عبد القادر الحلاج نصر



قصة بقلم : محمد المختار جنات

تقديم القصة

هذه الجريمة المستحيلة يرفضها مرتكبها جملة وتفصيلا ، وهو لا يعترف بتوقيفه
وادانته ، والدفاع عنه ، ويرفض محاكمته أو الاصفاء الى نص الحكم .

وتجدر المبادرة بتقديم ما يلي :

- (1) : نشر مذكرة القضيّة كما كتبها مرتكب الجريمة .
- (2) : نشر خطاب ناقض تلقاء مرتكب الجريمة ، ورفض محتواه لمزقه وحشا قطعاً
منه في الجرح الغائر في صدر شخصيته ، وقد أخرجها الطبيب ، وعرضها على الحكمة
فاستحالت عليها قراءة ما بها لتفسخ الخبر وتلجته بالكامل ، وقد فضلت الحكمة الغفال
هذا الخطاب وعدم ادراجه في وثائق القضية رغم تمسك محامي المتهم بضرورة اعتماده
لايضاح بواعث الجريمة وفهم نفسية مرتكبها .
- (3) : اغفال بعض ما دار في الحكمة لتفادي ما لا يخدم تقنية القصة . ويخرج عن
تمية الرفض .

٢٠٢٠

المذكرة

رقم القضية : 76٠I43

القضية : جريمة قتل مستحيلة ، ليست بها اية ادانة .

المتهم : غيات العياشى

الضحية : امرأة سافلة ليس لها وجه •

مكان الجريمة : غرفة المرسوم •

زمان وقوعها : بعد مرور ساعى البريد

ادوات الجريمة : اصابع اليد ، خنجر مقبضه مطعم بالفضة ، مسدس عياره 6 ملمتر •

شهود الجريمة : I) سمير جبار ، يحقد على المجرم بينما لا يعتبره مسؤولا عن التبليغ عنه •

2) منيرة الدزبرى ، اصرت على ان تكون شاهدة ، واعتبرتها المحكمة فى بادى الامر متواطئة مع المجرم •

3) أحمد محفوظ ، لا يكثر بوقائع الجريمة ، ولا تكثر المحكمة لشهادته •
شهود النفى : امرأة وجهها يشبه وجه أمى عندما كانت صبية فى مثل سنها •

محامى المتهم : مفروز ، يصر على ممارسة مهنته ، ويتحمس كثيرا للتقارير الطبية •

محامى الضحية : ليس له الحق فى الدفاع عن نساء منحرفات •

وكيل الاتهام : لا يؤمن بتقارير الاطباء •

بقية اعضاء المحكمة : يحترمون القانون فقط •

فصول القوانين التى تنطبق عليها الجريمة المستحيلة : لم تنص عليها المجلة الجنائية •

الحكم : تتردد المحكمة فى اصداره ويرفضه المجرم •

الخطاب

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

مكتوب في صفات من يوحى اليه

جناب المكرم والمفضل وحظرة ولا فخر

بعد الشوق الى رؤية طاعتكم البهية والرفعة الا

في ساعة سعيدة - فاننا الى اخباركم متطلعين

بشؤوننا يا عواليكم اما نحن فنجعلهم في

آن حركتهم ويرفع مقامهم

سبحان الله
واجرنا خدمة الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.net

سبحان الله
واجرنا خدمة الله

فتدبرنا ما كان من قبلنا من جلال

والا بما دنا من اولى الشهور في تكملة

الى سؤال المشرقة واستسبحنا من جلال

برؤا دين - وبعد القشت منه بالمرجة في الاسم والعقب والادوات الخاصة

وكذا في السفر في القارة ونحن دلتكم من طريقكم وأوقات حلول القطار بمحطة صفاتكم

الحق رتبة - وملا بقة كل ذلك بما جاء في ملف الاسعفات بعد

وبمركبة المشرقة أفادنا مشغولنا بأن والدكم

طبيب القه شراها أدلت عند ما حضرتها الوفاة في

بمركبة البليغة - كما

والدروس

كانت اشعة الشمس قد نذت من الشباك ، وانزعت فوق الفراش ، ثم زحفت نحو وجهي ، وانحطت بأوشالها فوقه ، وكان لابد لعيني من ان تنفتح ، وانفجرت اجفاني ، وتناوبت ، ورمقت امواج شعر منيرة ، وكانت تدفن وجهها في الوسادة . وتمططت ، ونهضت ، ووقفت قليلا الى جانب السرير ، ولذت ان اكشف الغطاء عن منيرة ، فازحته عنها ، واخذت اتأمل جسدها ، ثم خرجت من غرفة النوم ، واغتسلت ، وهيات لنفسى قهوة وقطعة خبز مدهونة بالزبدة واجاصة ، وشرعت اتناول افطاري . ووافاني صوت منيرة وكانت قد استيقظت وبدأت تصخب لاننى ابقيتها عارية . وسمعتها تدخل غرفة الحمام ثم تخرج منه الى المطبخ ، وتبرز حاملة معها صينية الافطار ، وقد دهشت قليلا حين لاحظتني اترشف قهوتي ، وادخن ، فقالت لى :

لقد هيات لك افطارك . وكنت احسب اننى سبقتك الى التفكير فى نفسك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فرمقتها ، وقلت لها مذاعيا :

— اذن فقد فوت عليك فرصة خدمتى .

واضفت قائلا فى انزعاج :

— لماذا لم تلبسى ثيابك ؟

فاجابت فى تحرج :

— ابدو امامك قبيحة على هذا النحو ؟

واردفت وهى تتضاحك :

— كنت لم تملأ عينيك من رؤيتى متجردة .

فشردت نظراتى وراء خصلات من دخان افيفتى ، وغمغمت :

— كان سيروقتى عريك لو جلست لارسمك .

فهتفت فى مرج صبيانسى :

– وما منعك ان تفعل ؟

اجبت فى جزم :

– يجب ان انجز لوحتى *

ومضت فترة صمت مطلقة منيرة خلالها ما قضته من الاجاص ، ثم قالت :

– غريبة ان تسمى لو حثك الرفض *

فرفعت حاجبى وسالتها فى اهتمام :

– وما وجه الغرابة فى ذلك ؟

فاجابت وكأنها تتنصل من دواعى استغرابها :

– يجب ان ابادر بالاعتراف لك اننى لم افهمها ، ان كل ما بها غامض ومبهم
فاطفاً سيقارنى ، ونهضت ، ثم ولجت غرفة مرسى ، واخذت اهيى ادواتى
لاستأنف عملى ، ومرجت بعض الالوان الصمغاء ، وشرعت ادلقها ، ودخلت
منيرة وقد ارتدت نصف ملابسها ، وسالتنى بتدبر وكأنها تحتج :

– والآن ، بم ساخرج ؟ لقد مزقت بنطلونى *

فواليت دائق الالوان ، وهتفت بها :
–

– انظرى فى خزانة الملابس عنك تجدين ما يصلح لك من ثياب كوثر *

فرددت فى اضطراب وقدلف صوتها شعور بالتحرج :

– ثياب كوثر !!

صحت فيها بفظاظة :

– انها لا تختص بملكيته ، فقد اشتريت جلدًا بدرهمى *

وانهمكت فى طرش الالوان ، ثم غسلت ريشتى ، واخذت استخرج لونا رماديا باهتا • ومرقت منيرة ، وطبعت على خدى قبلة خاطفة ، وسمعتها تفتح باب المرسم ، ثم تشهق قائلة فى دهشة وفزع :

- كـوثر !

وتوقفت ، ووضعت ريشتى ، وتطلعت نحو الباب ، كانت منيرة تبادر بالخروج وخيال كوثر يمرق من المعبر ، ثم تستند على اطار باب المرسم ، وحدجتها بنظرة صاعقة فرمقتنى فى كراهية ، ولم اتمالك هدوئى فصرخت بها :

- نعمـــــــــم !

فرفعت كتفها فى استخفاف ، ثم استدارت الى غرفة النوم ، وهى تقول لى فى لهجة داعرة :

سأتركى سمير انا طيلة الليل •

ورددت فى صفاقة وهى توقع بجذائها خطوات خليعة •

سـطـيـلـة الـليـل • • <http://Archivebeta.Sakhril.com>

صرخت ، وانزل اذنى باتجاهها طبقا لقضيا صغيرا :

- فتشئى لك عن نزل تستعيزين فيه عما فاتك من النوم •

فتجاهلت الرد على ، وسمعتها تدندن ، ثم تلعن منيرة ، وتنتعها باقذع العبارات • وهرعت نحوها فى صخب ، فوجدتها تندس فى الفراش • وحدجتنى بنظرة صارمة ، وقالت فى جفاء :

خارج ، ودعنى انا •

فتأملت ما مار فى نظراتها ، وبصقت على وجهها ، وخرجت • وعكفت خلال ساعة أو تزيد على انجاز الخطوط الاخيرة فى لوحتى ، ثم وقفت اناملها فى كآبة كانت تلك اول لوحة استريح الى رسمها وتبرز ما يجيش فى اعماقى من آلام

وحزن دفين ، زككت ابكى وانا أعب من ألوانها المصبوغة تعابير سوداويش
القائمة •

لقد رأيت فيها تجربة لمعاناتي تنعكس على مستوى تجريدي خال من الافتعال

وارتفعت طرقات خفيفة على الباب ، وقبل ان تلمس يدي رتاج الباب ،
رأيت رسالة تندفع من تحت اسفل الباب ، والتقطتها وفحصت المظرف ،
واصغيت الى وقع خطي ساعي البريد ، وانا المحه من النافذة وهو يتعد عن
الباب •

وأثارتني تعثر الخط المكتوب به عنوان الرسالة ، واعدت فحص المظرف •
واذا الرسالة صادرة عن مكتب البريد بصفاقس • وبقيت احدى فيها طويلا ،
ثم رجعت الى تأمل لوحتي ، وسريعا ما استبد الخطاب باهتمامي ، واستيقظت
هواجسي ، ثم تصاعدت الدماء الى صدغي ، واحسست بخفقات قلبي ترتفع • •

هل تمكن اخيرا من الاهتداء اليها ؟

واستشرفت عصبيا الى ما يجيش في اعماقي ، فلم تنبئني هواجسي بخير
وضرب على عيني ظلام رهيب من التضياع ، وخرجت من فتح الرسالة ، وهربت
بعيني الى لوحتي ، ثم سمعتني اصيح بكوثر :

— اذا وجدت النهاية المحتومة • • انهيت وجودك على اربع صور •

وارهفت السمع لعلی التقط منها ما سيثير تساؤلها أو رعبها ، فلم ينبعث لي
في ارجاء مرسمي ما يبدد التوتر عن اعصابي • • كان ظلام الشؤم يفترس مخي
وينهش في وحشية عروقي ، وينجر في اعماقي صراخا جنازيا ، والقيست
الخطاب جانبا ، وهرعت الى خزائني ، واخرجت منها خنجرا كنت اعز بامتلاكه
وكانت الدماء تضج في رأسي ، ويدايا ترتعدان ، وحلقي يجف ويتيبس ،
وفتحت درجا جانبيا ، واخرجت المسدس من غلافه الابنوسي ، وجمدت الى
جوار الحزانة ، واخذت اتأمل بذهول ما أمسكه بكلتا راحتي ، وحذقت في
اطفاري ، فبدت لي كمخالب وحش رهيب •

والتمست جرعة هواء وأغمضت عيني ، وعصفت في حلقي مرارة ترشح

بفتيان حاركت اللفظ تحت وطائنه أحشائي . وتاهت خطاي بين المعبر والغرف
 .. ووجدت الرسالة قحملتها بيد ترتجف في حين كانت يدي الأخرى ،
 تطبق على الخنجر والمسدس معا وكأنها تعتصرهما ، ودخلت في تصميم غرفة
 النوم ، فلامحت كوتر تمدد على بطنها تحت الغطاء ، فصمحت بها في صوت
 أجش :

- كوتر .. كوتر ..

فلم ترد . وارتعدت الجدران ، فألقيت بالخنجر والمسدس الى جوارها ،
 وفتحت الرسالة ، وكانت أصابعي ترتعد ، وعيناي تتساقطان فوق الكلمات
 المتعثرة ، ولم افهم ما تعنيه السطور ، واعدت القراءة واعدت .. ونزل على
 اعصابي شواظ حارق ، وخيل الى أن اظفاري تبرز وتستطيل ، وأن أسناني
 تصطك وأن عيني تتحجران . وجاشت انفاسي ، واضطربت ، فمزقت الخطاب .
 وامتد ساعدي ذى تشنج ، وكان عريقه تحولت الى مطارق من فولاذ ، وعميت ،
 ولم أعد أرى .. لم أعد أرى .. واختنقت انفاسي .. وصرخت .. وصرخت ..
 وصرخت ! صرخت !

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

- 2 -

صاح الدرويش :

- صفاقس .. بلاد السبارس .. وخبز الشعير اليابس .. اعطوني (دورو)
 لله .. يا محسنين لله .. يا مؤمنين ، يكون في عونكم سيدي السلامي ..
 شامى الله .. حنوا يهديكم على المسكين .. لله .. لله يا مؤمنين ..

وتدلت الحقائق ، وهبطت الادبаш والرزم والصرر ، وتدافعت المناكب ،
 واختلطت الارجل ، وعم الضجيج ، وتنادى الحمالون ، وتصايح باعة القازوز
 والكسكروت والكعك والبيض المسلوق .. وتغلغل الدرويش بين كراسي
 القطار ، وصاح :

- يا امي .. يا حاجة .. صفاقس .. صفاقس .

صاحت به العجوز :
 - ناد لي ولدي .
 فهتف الدرويش صارخا :
 - يا ولدي ... يا ولدي .. تعال .. تعال .. بفيشك سيدي
 « بو درباله » ..
 صاح أحدهم من أقصى عربة القطار :
 - أمي . هاني جيت ..
 فصرخ الدرويش :
 - ها هو جاي .. يا حاجة ..
 وأضاف الصوت من أقصى العربة أمرا في نبرة حاسمة .
 - انزلي معه ..
 فردد الدرويش :
 - انزلي معه ..
 - اعني - اذن - على حمل صرتي .
 ثم مدت العجوز الصرة باتجاه الدرويش فتخذلت عنها يده ، وكان يزغق :
 - « دوروا » يا مؤلتي .. جيعان .. عريان .. يا محسنين لله ..
 صاحت العجوز به في حدة :
 - سيعطيك ابني أكثر من (دورو) . أعني على حمل الصرة يديك ..
 سال الصوت العريض ، وهو يبارح القطار :
 - أحملت صرتك ، يا أمي ؟ ..
 فصاحت العجوز بالدرويش وهي تدفع صرتها باتجاهه :
 - خذها يا ابني ..
 - هاتي .. يا حاجة ..
 ونهضت العجوز ، وخطت مستخدمة عكازها ، فالتقت يدها بكم الدرويش ،
 فأمسكته منها ، وقالت له وهي تنشب بكمه :
 - دلني على الباب لانزل .
 فأمسك الدرويش عكازها ، وأخذ يسحبها ، وصاح وهو يتقدمها وهي
 تضع أقدامها على الأرض :
 - صفاقس .. بلاد السبارس .. وخبز الشعير اليابس ..

واشتد الزحام على الرصيف ، وشدّ الدرويش بالصرة أجساد الناس ،
وتعشرت العجوز ، وهى نجر رجلها وراءه ، ومرق الدرويش من باب المحطة ،
وزعق :

- درو لله .. يا محسنين لله ..

صاحت به العجوز :

- أين ولدى ؟ !

فقال يسحبها ، ثم هرول فانسقت وراءه لاهثة ، وصرخ الدرويش :

- صفاقس .. بلاد السبارس .. وخبز الشعير اليابس ..

وارتكض قلب العجوز ، وسطا عليها خوف رهيب ..

وزمجر زمور شاحنة وأعول ، وصاح أحد المارة بالدرويش :

- ابتعد .. انتبه .. أهيه ..

وصرخت العجوز فى وجف ورعب :

- يا رسول الله ..

واشتدت زمجرة الشاحنة ، ووثب الدرويش ، واعتلى الطوار ، واختل

توازن العجوز وسقطت ..

وعوت دوايب الخيلابة واحتكت عجلاتها بصلافة الأرض .. وتسابق المارة ،

واشتدت الجلابة ، وارتفع الضجيج ، وداخلت الندابات .. وتحلق الناس ،

واتسعت حلقهم ، وكان الدرويش قد اختفى بالصرة والعكاز ..

- 3 -

- لا يا خديجة ، لقد دعاني ، هو بإشارة فظة منه كى اتبعه ..

ورمتها خديجة بنظرة طويلة ، وسالتها فى صوت خافت :

- وبعد ؟

قالت كوتر ، وهى تنفث دخان سيقارتهما :

- وقفنا فى الممر الحلقى المؤدى الى مقصورة التجميل فى أقصى القاطرة ،

وكان أول ما قاله لى : « سارسمك عارية » ..

- قبل أن يسألك عن اسمك ؟ أو يعرف هويتك ؟ !

- لا .. أنه لم يفعل ذلك حتى بعد أن استأنفنا رحلتنا .. لقد رأى فى ،

يا خديجة ، خادمة له ، تعبد شهواته ، وتقصد عجزته ..

- ولكنه لطيف ، يا كوثر .
 - يخيّل إليك انه لطيف . أما حين يبدو لك عن حقيقته فانك تدركين انه
 فظ وشرس حاد الاخلاق .
 - فخفضت خديجة من أهدابها ، وقالت في اعتزاز :
 - ولكنه فنان .
 وأطفأت كوثر سيقارتها ، وقالت في سخرية :
 - انه يدعى الألوهية .
 - وصدقيني انه آله .
 - انت تعجبين به لانك لا تعاشرينه ! انه حيوان من طراز رفيع ، يا
 خديجة .

وهتفت خديجة بكوثر فى غضب :
 - وبعد ؟ أنت تعلمين اننى لا أطيق سماع من يسخر منه أُمّى ، آه ، ليكن
 أعشقه يا كوثر ، ولكنه يأبى الالتفات لى .
 وتضاحكت كوثر . وقالت فى صخب ، وكأنها تغطى عن خديجة غيرتها :
 - ولكنه لا يرى من النساء غيرك . صدقيني انه يعبدك عبادة .
 فقالت خديجة فى ألم :
 - ولكن ألم تلاحظي ضيقه اذ هو عاطف ؟ فكلما هممت بأن أبوح له
 بفراغى ، أسرع ليحدثنى عن أمه .
 - تلك مشكلته الكبرى . أمه . . ودائما أمه . .
 - ذاك ما يثبت لك رفته . . لقد ظل حزينا . . ويشعر بوطأة ما تحمله
 من عذاب بسبب فقدانه لها .
 صاحت كوثر فى جفاء :
 - انه المسؤول عن ضياعها . . لقد تهاون وتركها تضيق . .
 تساءلت خديجة فى صوت خافت :
 - ألم تكونى أنت السبب فى تهاونه ؟ . . انك شريكته فى . . .
 وقاطعتها كوثر فى حدة :
 - أراك تأثرت بما يدعى . . لم لا تقولين مثله : اننى انا المسؤولة عن
 ضياع أمه ؟ !

ونفضت كوثر عن مقعدها فى توتر ، وأضافت :

- لقد كنت أروى لك انه دعانى بإشارة منه الى الوقوف معه فى الممر ،
ثم زج بى فى مقصورة التجميل ، و ..
- هكذا سريعا وبكل سهولة ؟
- لقد فقدت أمامه كرامتى .. بل غدت كرامتى متعلقة بإرضائه .
وصاحبت خديجة كالملدوغة :
- فى مقصورة التجميل بعربة القطار !!
فاستطردت كوثر متغاضبة عن صبيحة خديجة :
- ولما انتهى من طقوسه الوحشية كان القطار قد توقف فى محطة صفاقس
.. وأسرعنا الى حيث تركنا أمه ، فلم نجدها .. ونزلنا فى صفاقس ، وظللنا
نبحث عنها أياما دون جدوى .. وكان حين يؤوب الى المنزل وقد أنهكه التفتيش
يجردنى من ثيابى ، ويذهال على بالضرب ، ثم ... وأنام .. ويمكث طول
الليل يحاول رسمى ، ولكنى أجد فى الصباح انه كان يرسم طيلة الليل
وجه أمه ..



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وغضمت خديجة فى تأثر :
- مسكين !
ودخل غياث ، فصلعت المراتان .. وظل هو يحذى فى وجه خديجة .

- 4 -

جاءت منيرة وسمير معا - كعادتهما - ثم قدم احمد .. ودار الحديث ،
واستمرت ريشتى فى طرش ألوانها ، ثم توقفت فجأة عن الرسم ، وأشعلت
سيقارتى ، وقلت فى حرقلة :
- ومع ذلك اضعتها .
فعدلت كوثر من وضع ساقها ، وكنت ما فنتلت أشعر بانى مشدود الى ما
يكشفه « المينى جيب » من فخذيها البضتين .
- انت تقالى كثيرا فى شرح مشاعرك ، وعيبك انك ترهق أصدقاءك بمرارة
أحاسيسك وترغمهم على مشايرتك حمل همومك .
واضافت منيرة ، وكانت تلبس بنظولنا رماديا يضغط جذعها الاسفل :
- لقد أثرت فى منطقك الألوان .
وقهقه سمير ، ووضع زجاجة جعته ، وهتف :

- دعوه يقص أولا الحكاية ، ثم لانموا بينها وبين رقة مشاعره .
- قالت كوثر فى توتر :
 - ثقوا - سلفا - انه سيجملنى مسؤولية مأساته .
 - واضافت فى تجن :
 - انه يحقق على .
- ابتعدت عن لوحتى ، وكززت عينى ، وراقبت ضوء الفجر ، فسمعت خديجة تقول لى فى بحنة :
 - يبدو ضوءك منحدرًا ليفضح المخبور فقط .
- التفت اليها .. كانت تجلس على اريكتى المفضلة ، وقد جلب فستانها الاسود مفاتنها ، ولم يكشف - حسب رغبتي التى افضيت بها اليها - الا عن صفاء نحرها ، وكفيها وجزء قليل من قدميها .. فاجبتها ، وانا اخشع لهيئتها الملائكية ، وارمق مداعبتها لظفريها الطويلة ..
 - لا أريد أن ينير أوشال الضياء غموض ذلك الوجه .
- وتكلم أحمد لأول مرة ، فقال لى فى لهجة حائرة :
 - لقد تركت الضياء متلاحقا بالصخر .
- ورفعت كوثر صوتها لتقول :
 - أى شبح رهيب هذا الذى رسمتبه ؟
- وقالت منيرة :
 - لاحظوا أن هذا الشبح لا يواجهنا ، ويبدو وكأنه يتسلق سفح الجبل .
 - وعادت كوثر الى التساؤل ، وكأنها لا تخصنى بدعشتها :
 - ولكن ما هى هوية هذا الشبح ؟ أهو رجل ، أم امرأة ؟
- قال سمير ، وهو ينقر بظفره زجاجة الجمعة :
 - دعوه يقص علينا أولا الحكاية .
- بدا كأن أحمد لم يسمع كلام سمير ، فقال لى ، وعيناه مغروزان فى لوحتى :
 - أهو شيخ ، أم عجوز فانيئة ! ؟
- تنهدت خديجة فى صوت خافت سمعته انا بكل وضوح . فى حين قالت كوثر ، وقد عادت الى وضع ساقها اليسرى فوق اليمنى فى وضع كاشف :
 - يبدو لى ان الشبح جذع لشجرة أو هيكل لصخرة سامقة .
- ظلمت مبتعدة عن لوحتى ، وفتحت أحداقى ، ومججت أنفاسا من سيقارتي ، ثم تراجعت بضع خطوات ، وانكأت على كرسي عال مستدير القاعدة .

وخفت أصوات الجماعة فأشرت نحو كوثر بسبابتي ، وقلت :
- كان ذلك حين التقيت بكوثر في محطة « محرس » كنت أنها قاصدا
سوسة ..

قاطعتني كوثر قائلة في استفزاز وهي تحدج خديجة بنظرة مربرة :
- تصوروا ان ذلك أول لقاء لي معه ، ومع ذلك فهو لا يعتز به كما ترون !
صحت بها في غضب هائل :

- اخرسي

فاطمت سمير ابتسامة عريضة ، وقال لي :

- اهدأ ، يا أستاذ ..

غمغمت خديجة ، وكأنها تبكي :

- دعوه يقص حكايته ..

وصاحت كوثر بعناد :

- سأظل أقاطعه ألف مرة ، ان حاول الضاق مأساته المزعومة بي ..

استبد بي الغضب من جديد ، وصرخت بها :

- بإمكانهم ان يكذبوا لو أدركوا سر حرصك على ارتداء « الميني جيب » .

فنهضت كوثر في انفعال ، ولوت شففتها تهكما ، وقالت :

- اني اصر على ارتدائه لكي أواصل به اغواءك .

التمعت عينا خديجة وظلت صامتة ، وغلغلت منيرة أصابعها في شعرها ،

وقالت :

- اهدأ . لكانكما طفلان صغيران .

تطلعت نحو منيرة ، ثم غرست عيني (في خصرها) ، (فقهقه) سمير ،

وهتف بي :

- أنت أحمر !

ظلت عيناى (ثابتتين) على منيرة ، وقلت في شروء :

- فعلا .

أطلقت كوثر (تصغيرة طويلة) ، ورجعت الى اقتعاد مكانها . وأدركت ، وأنا

أرفع نظرتي الى وجه منيرة ان عينيها (مخدرتان) ، وسمعت سميرا يقول لي

في (سخريّة مستفزة) :

- ستضيع الآن نفسك ، بدلا من أن تضيع أمك !

ألمنى قوله وجرح كبريائى ، فحدقت به فى غضب ، فنهضت خديجة ، وصاح أحمد بسمير ، وهو يشده من زنده :

- ما هذا ، يا سمير ؟

فقهقت كوثر فى دغارة ، وعقبت على قول سمير :

- ٠٠ وتلقى عندها على كاهل منيرة تبعة جنونك ؟

أوغل سمير فى الضحك بكيفية لم أتمالك معها صبرى ، فخطفت زجاجة اللمعة من أمامه وقذفها على وجهه ، فتنادى بسرعة الضربة الموجهة إليه ، وأسرع أحمد ليحول بينه وبينى ، وصرخت فى عصبية :

- اخرجوا من مرسمى ٠٠ اخرجوا ٠٠

شملتنى خديجة بنظرة لم ادرك سر التماعها وخرجت ، وصاحت كوثر فى عصبية أشد من صياحى :

- لسن أخرج ٠

وسحب أحمد سمير وخرجنا ٠

وقلت لمنيرة فى لهجة حسادة :

- ابقسى ٠

فوثبت كوثر على منيرة بسرعة مذهلة ، وفحت كالحية الرقطاء وهى تخنقها :

- سأقتلك ٠

وناضلت منيرة بصمت ، ودفعتها بجفاء ، فزمجرت كوثر ، وهى تنقل نظرتها المخذولة بينى وبين منيرة :

- سأذهب لأنام مع سمير ٠

صحت بها فى كراهية :

- اذهبى الى الشيطان ٠

ومرقت كوثر كالعاصفة ، فأغلقت باب مرسمى ، وجذبت منيرة من خصرها ، ومزقت بنطلونها ٠٠

- 5 -

- كم من محطة بقيت على سوسة ، يا ابنى ؟

لم أكن على ثقة من عدد المحطات الباقية ، فغمغمت :

- ساسترشد لك ٠

وأضفت ، وأنا أنطلع الى عينيها المطافتين :

- أجعت ، يا أمسى ؟

فأثبتت أطراف اللحاف حول رأسها ، وقالت لى فى صوت واهن :

- لقد مللت ركوب القطار .

قلت لها ضاحكا :

- صبرا فسنستريح فى صفاقس ، وناخذ رتلا آخر الى سوسة .

فقال فى غم :

- أولا نستطيع امتطاء سيارة أجرة الى سوسة ؟ ..

فقلت لها فى حيرة :

- سبق أن حجزنا تذكريتين حتى سوسة . فإذا رأيت ان هذا الرتل

السرير يستمك . فسألفى تذكرتينا ، واكثرى لنا مقعدين فى أول سيارة

أجرة تخرج الى سوسة .

فصمتت أمى ، ولم تنبس بكلمة .

ومرت برهة وجيزة . وصل القطار بعدها الى محطة « محرس » وصعدت

العربة فتاة أنيقة الملبس ، وبأدركت بالجلوس فى المكان الشاغر الى جوار أمى ،

وكنت أجلس بجوار النافذة وفوق الكرسي المواجه لأمى . وتأملت الفتاة .

كانت ترتدى « المينى جيب » وتضع على عينيها نظارتين سوداوين ذات عوينات

يملا قطراهما راحة اليد ، وقد أخفيا وجهها ، وان ظلا يكشفان عن نظرتها

ويوضحان شعرات أهدابها ، كانت فتاة حلوة التقاطيع ، ذات فم مكتنز ،

وخدين موردين ، وجيد تالع ، وصدر عارم ، وقوام أقل ما يقال فيه : انه

يصلح « موديل » لى رسام ايطالى يعيش فنية القرن التاسع عشر . وظللت

أتأملها دقائق طويلة ، وأنا أتساءل معجبا بجمالها المذهل : « ترى لماذا لم

تخطفها السينما ؟ » وأدركت هى من قحة نظراتى انى أفحص خصائص

جسدها ، فارتبكت ، وصرفت وجهها نحو النافذة ، ثم ما عتمت ان تشاغل

عنى بالتطلع الى وجه جليستها العجوز ، وأدركت بعد برهة ان جليستها

عمياء ، فرمقتنى خلسة وقد ماج الرئاء فى نظرتها . ثم غلغلعت عينيها فى

زوايا العربة وممراتها .

وأردت أن أكسبها بأى ثمن ، أن أجبذ اهتمامها ، أن أمتلك السيطرة

عليها فى بضع دقائق ، وقبل أن يقف القطار فى أى محطة قريبة قد يتعين

على النزول فيها .. وأخرجت ورقة وقلما فحميا ، فانتبهت لحركتى ، وسرعان ما زأغت عنها ، وبخطوط سريعة ، وكانت صورتها قد انطبعت فى أعصابى ، رسمت وجهها وهو يتطلع الى أمى ، واستطعت ان أعكس بدقة ما جاش فى نظرتها حين أدركت عمى أمى ، وذيلت رسمى بكلمتى « شكرا لنظرتك » ولمحتها قد رمقتنى حين كنت أرسـم * ولما انتهيت حددت فيها طويلا ، فأحسست بأن نظرتى أنقلت عليها وإن كانت تتظاهر بأنها تتغاضى عن شعورها بهذا الضيق ، ومددت اليها الورقة ، فعمدت بسرعة الى فتح حديقتها على اتساعهما وكأنها تفصح بذلك عن دهشتها لجسارتى ثم مدت يدها ، واستلمت الرسم ، وادارته ، ثم تأملته هنيهة ، وخلعت نظارتها وفحصته بدهشة وكأنها لا تصدق ما ترى * كانت أدق التفاصيل والمحطوط للزاوية التى رسمت منها وجهها ووجه أمى ، قد انعكست فيها أبسط المراثيات ، فظهر متكئا الكرسي المستطيل المواجه لى ، واقفية بعض الجالسين وراء المتكئا نفسه * ورأيتها تستدير وراءها مبغوتة ، فأبتسمت * لقد أسرعت بتفقد الجالس وراءها لتتطلع الى لوحة البرص التى تديل شعر قفاه * ثم استدارت نحوى ، فرائنى مازلت ابتسم لها فأنفجرت ضاحكة ، ووضعت سبابتى على فمى مشيرا اليها بالسكوت ، وإذا أمى تقول لى :

— لشد ما يبطنى فى سره هذا القطار !

وكان على العكس مما تقول ، فهو أخذ فى نهب الأرض فى اندفاع جنونى ، فقلت لها ، وأنا أدنى وجهى منها :

— حين نصل صفاقس سنستقل سيارة أجرة *

وأضفت بعجلة :

— سأغيب عنك قليلا لادخل دورة الاستراحة *

وغرست عيني فى نظرة كوثر أمرا إياها بملاحقتى ، والتفت بعد خطوتين فرائتها تتبعنى *

- 6 -

صرخ الحجاب :

— محكمة ..

فنهض الجميع ، وتسلمت الانظار على المتهم ، وكان

يقف في جمود بين قضبان قفص الاتهام ، واعلن
رئيس المحكمة في لهجة تقليدية بدء الجلسة ، وذكر
رقم الدعوى ، واسم المتهم وهويته ، واسم الضحية
وهويتها ، ونوع القضية ومختصرها ، واسماء
الشهود والمحامين المعيّنين للترافع في الدعوى .
ثم خاطب المتهم في فظاظة :

- أمازلت مصرا على صمتك ؟

فظل مرتكب الجريمة صامتا ، فحوّل الرئيس . وقال :

- أرجو أن لا تكون قد انقلبت الى تمثال من حجر صلد .
وتكلم وكيل الحق العام ، فندّد بصمت المتهم ، وطالب
بضرورة تطبيق الفصول التي تنص بمعاينة من يجحد
اعترافاته عن المحكمة . ودعا الرئيس الشاهد الاول ،
فمثلت إمام هيئة المحكمة منيرة الذيرى . ووجه لها
الرئيس الاسئلة التقليدية بعد أن استخلفها ،

ثم سألها :

- لقد كنت آخر من اتصل بالمتهم ورأى الضحية ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- متى اتصلت به ؟

- لقد طلب الى أن أبقى معه .

- متى ؟ وفي أية ساعة بالضبط ؟

- مساء اليوم الذي وقع فيه الحادث . . عفوا لست أذكر الوقت بالتحديد

. . كان الليل قد هبط وقتها .

- لماذا طلب منك أن تبقى معه ، مع العلم بأنه أعزب . . وانك تعرفين

جيدا انه كان يعاشر كوثر بطريقة غير شرعية ؟

-

- تكلمي . . كيف قضيت ليلتك بصحبته ؟ ماذا فعلتما ؟

-

- أوأقعدك ليلتها ؟

- نعم .

- أكانت تربطك به من قبل علاقة جنسية ؟
 - لا .
 - لماذا كنت على غير وفاق اذن مع عشيقته ؟
 - كانت تغار منى .
 - أكنت تضمرين لها الكراهية ؟
 - لا .
 - وهل تغارين انت منها بدورك ؟
 - نعم .
 - لماذا كنتما تتنافسان على ربط علاقة غير شرعية مع غياث ؟ بماذا كسب
 اعجابكما ؟ أكان يغريكما بالنقود ؟ أيا لهما ؟
 - كانت كل امرأة تعرفه تحببه .
 - هكذا خيل اليكما . . . ولماذا كانت تقع فى حبه كل امرأة تتعرف عليه ؟
 وضحي حتى تدرك سر هذا « الرومي » الملوذ الذى لا يعرف فى حقيقة الواقع
 الحب . . . لان الحب عاطفة شريفة يتحلى بها الصوفيون وليس ميلا جنسيا كما
 أوهمك غياث . الجنس هو لغة الحب عند الحيوان . أفهمت ؟ « بغضب » تكلمي . .
 - (متنهدة) انه يعرف الحب يا سيدى .
 (ضحك فى أرجاء القاعة . . . أمر بالسكوت . . .)
 - بماذا أثر فيك انت بصفة خاصة ؟
 - لست أدري بماذا . . . لقد كنت أفقد معه ارادتي .
المدعى العام : (فى تهكم) : أعله كان يمارس معك شعوذة التنويم
 المغنطيسى ؟
منيرة : لست ادري .
الرئيس : لا علينا . . . لقد وقعت تحت تأثيره وقضيت معه ليلتك . . . فهل
 حدثك ليلتها عن كوثر ، وعما يببته لها ؟ ألم يقل لك مثلا : انه أصبح يكرهها
 ويحبك أنت ؟
 - لا . لم نتحدث عنها ، ولا عن غيرها .
محامى المتهم : يسمح لى السيد الرئيس بأن أسال الشاهدة عما اذا كان
 منوبى قد حدثها عن أمه ؟

منيرة : لم أسمعته يتحدث عنها الا عندما اجتمعنا - كعادتنا - فى مرسه مساء اليوم الذى سبق وقوع الحادث .

المدعى العام : (فى شبه سخرية) : كيف لم يخبرك من قبل بقصة أمه ؟
الم يكن يعجب بك ويرتاح لك ؟

- لم يكن يبدى نحوى هذه العاطفة ، ياسيدى .

الرئيس : وماذا وقع فى صباح ذلك اليوم ؟

- نهض قبلى واعد افطاره ، ثم اعددت افطاري وتناولته ، وهيات نفسى للخروج .

- ولم تتبادلوا حديثا حول كوثر ؟

- لا . ولو كلمة ، كل ما فى الامر انى ناقشته فى مفهوم اللوحة التى يرسمها .

* لقد خرجت من شقته وانت مرتدية ثياب كوثر ، كيف تفسرين ذلك ؟

- اذن لى هو يارتدائها ، يدعى انه هو الذى اشتراها لها .

- لماذا ؟ الم تكن لك ثياب ترتدينها حين طلب اليك قضاء ليلتك عنده ؟

- بلى .

- واذن ؟

-

- ثم . ماذا وقع بعد ذلك ؟

- فتحت الباب ، فوجدت كوثر .

- اكانت تقف وراء الباب ؟

- لمست ادرى .

- اتعلمين اين قضت ليلتها ؟

- لا .

- كيف ؟ الم تحدث امامك مشاحنة بينها وبين غياث ، وانها اثارته او

انذرتة بانها ستقضى ليلتها مع سمير .

- نعم . سمعتها تقول ذلك . ولم اتحقق من انها اقدمت على

تنفيذ قولها .

- وماذا قالت لك كوثر حالما فتحت لها الباب .

- ابديت دهشتى عندما رأيتها ، ولكنها لم تنبس بكلمة .

- ثم ؟

- ثم انصرفت وكان ذلك آخر عهدي بهما .
المدعى العام : اننى اصر على اعتبار ان لهذه الشاهدة ضلعا فى ارتكاب الجريمة .
الرئيس : يحق للسيد المدعى العام ادراج قضية فى هذا الاتهام ، تنظر فيها المحكمة .

(يشير الرئيس للشاهدة بان تنصرف ، ثم ينادى سميرا ، ويوجه له الاسئلة التقليدية ، ويساله) :
 - لقد رويت للمحكمة تفاصيل المشاهدة التى دارت بينك وبين غياث ؟
 فهل تعتقد أن الغيرة هى التى دفعتك لى توجيه الاهانة لصاحبك ؟
 - نعم اعتقد ان الغيرة هى التى دفعتنى لاهانتها .
 - لماذا كنت تغار على منيرة وهى لم تكن زوجة لك ، او تنتمى لك بصفة القرابة ؟

- كنت قد عزميت على خطوبتها .
 - هل صارحتها بعزمك هذا ؟
 - لم افعل .
 - لماذا ؟
 - لانى ادركت انها تميل الى غياث .
 - هل كانت كوتر تبدي تحرك بعض الميل ؟
 - لا . لم تكن لتهتم بى .
 - كيف تفسر اقدامها على قضاء الليل معك ؟
 - لم يخف على انها لجأت الى ذلك لتتأثر من غياث .
 - اذن انتهزت الفرصة ، وقمت برد الفعل العكسى ؟
 - كنت اشتبهها . اقول ذلك بصراحة ياسيدى .
 - اتحدث معها ليلتها عن غياث ؟
 - كئيبا .
 - ماذا قالت لك عنه ؟
 - كانت تهجس كالمحمومة لانه لفظها وفضل عليها منيرة .
 - السم تخبرك بانه يكرهها وينوى قتلها ؟
 - قالت فقط : انها لا تطيق كرهه ، وانها ستظل طول عمرها تعبهه وتضحي فى سبيله بمستقبلها ، وبحياتها .

— هذا هو الفساد بعينه .. انتم عصابة سوء .. لا ترعون حرمة للاخلاق ولا تقيمون وزنا للشرف ...

الرئيس : فنان يلهو بالنساء ! ما شاء الله على هذا الفن !

الرئيس : فنان يلهو بالنساء ! ما شاء الله على هذا الفن !

المحامى : ولكنه يستمد تعبيره الفنى من عشرته للنساء . ان كل الرسامين الاوروبيين يفعلون ذلك .

المدعى العام : (فظاظة) نحن نُسنا اوروبايين ، ولا نعيش فى اوروبا .

الرئيس : (للشاهد) : — لماذا اتجهت صباحها الى مرسوم غياث ، ما دمت قد تخاصمت معه ؟

— كنت اريد تصفية حسابى معه . ولما فتح الباب وشاهدته مصغر الوجه وهو يمسك مسدسا فزعت . ثم سمعته يصيح بى .. لقد قتلتها .. قتلتها ..

— ماذا فعلت ؟

— بادرت بالهروب . وكان يشيعنى بهفقاته العصبية ، واسرعت الى الشرطة واخبرت بالامر .

يبدى الرئيس بيده اشارة فينصرف سفير ، ثم ينادى خديجة ويسألها بعد الاستئذان التقليدى :

— لماذا كنت تترددى على مرسوم غياث ؟

— لانى احبه ، واحب فنه .

— (فى غضب) كنت مثلهم .

— لا يا سيدى .

— ماذا تعنين ؟

— كان لا يبدى اهتمامه بحبى .

— تقصدين انه لم يمارس معك الجنس .

— نعم .

— لماذا ؟ ألم تروقى فى عينيه ؟

(ضحك فى ارجاء القاعة .. أمر بالسكوت ..)

— ظل يحترمنى فقط . ويشغف بى ، ويحدثنى ، كان دائما لطيفا معى يحدثنى بهومومه ويطلعنى على أسرار فنه .

- أكان يكاشفك بأسرارہ ؟
- نعم .
- أحدثك انه ينوى قتل كوثر ؟
- كان يعرب لى فقط على انه يكرهها .
- لماذا ؟
- لانها تسببت فى اضاعته لأمه ، فقد شغلته عن الانتباه لوقوف القطار .
- ولما رجع لم يجد أمه .
- هل أفضت لك كوثر بمخاوفها فى هذه الصدد ؟
- لا . لم تكن تخشاه . . كانت تتزأهو فقط بامتلاكها لغيث .
- اذن ، فانت لاتعرفين عن امر القتل شيئا ؟
- لا اعرف .
- (يشير الرئيس ، فتتحرف خديجة ، ويدعو أحمد ، ويوجه نحوه الاسئلة . .)
- هل لديك ما تخبر به المحكمة فى قضية القتل ؟
- لا . كل ما فى الامر ، اننى لاحظت فى آخر جلسة لنا على المرسوم ان كوثر تحتد فى وجه غياث ، وان كان غياث يعاملها من قبل بنفس الجدة .
- ألم تقض لك كوثر بأنه يكرهها ؟
- لا يا سيدى .
- وهل افضى لك غياث بأنه ينوى التخلص منها ؟
- كلا يا سيدى . . كلا . .
- غريب امرك . . لماذا اندمجت مع هذه الجماعة مع ما اشتهرت به من الاعتدال ؟ اكنت تحس بميل خفى نحو كوثر ، أو خديجة ؟
- لا يا سيدى . كنت اميل فقط للفن ، ويعجبني رسم غياث .
- (يبدى الرئيس اشارة تأمر أحمد بالانصراف ، ويقول) :
- الكلمة للنيابة .
- (يظهر المدعى العام حماسا فى مهاجمة المجرم وبطانته ، ويصفهم بأقذر النعوت ، ويدعو الى تسليط عقوبات عليهم لتنكيهم جادة الاخلاق ويطالب بتطبيق فصول قانونية تدين المجرم بتهمة الافساد وارتكاب

الفاحشة ، ومسك السلاح بدون رخصة ، ونية الاقدام
على القتل . ويحيل الرئيس الكلمة لمحامي الضحية ،
فيستعرض حياة موكلته وسيرتها ، ويبرز حساسيتها
ومليها الباكر للفن ، وتأثرها به ، ثم يخلص الى
الحديث عن .. وعن .. وعن ..)

(ويحيل الرئيس الكلمة لمحامي المتهم ، فيصيح) :

- .. اني اصر على اعتماد ما جاء في التقرير الطبي .. لقد توفيت كوتر
قبل ان يهم موكلي بخنقها ، ثم يطمئنها بخنجره ، ويطلق عليها الرصاص ..
(فاين اركان جريمة القتل في هذه الحالة ؟)

(ويتحمس المحامي لشرح الاوضاع القانونية التي
تنطبق على توفر اركان الجريمة ، ويحمل هيئة
المحكمة على الغائها من دائرة جريمة القتل ..)

المدعى العام : (مقاطعا المحامي في غضب) : اني اصر على اعتبارها جريمة
قتل ، لان ركن النية متوفر فيها .

المحامي : لا ، ليس متوفرا حسبما تنص عليه مواد القانون .. انها جريمة
قتل مستحيلة ، يا سيدي .. لقد اطلق موكلي النار على ميتة .. لقد خنق ميتة
.. لقد طعن بخنجره ميتة .. وهذا ما نسميه في اصطلاح القانون : جريمة
مستحيلة .

الرئيس : (متسائلا في حيرة) : - اتريد اخضاع الجريمة لقضية تشويه
جثة ؟

المحامي : (في تهكم خفي) : أنا اتساءل لماذا أضاعت المحكمة أوقاتها في عقد
العديد من الجلسات .. اليس رغبة منها في حصر نية القتل ، بينما نية القتل
منعدمة قانونيا ؟ ثم ان موكلي مريض نفسيا .. لانه كان قد اضاع امه ..

الرئيس : (مقاطعا المحامي) : لقد تأكدت لنا سلامته من هذه الناحية .

(تطول مرافعة المحامي ، ويذهل عنها مرتكب
الجريمة ، ويتحجر لسانه ، وتزوغ عيناه ، ويشرد
ذهنه ، ويلفظ الرئيس الحكم ، وتنتهي الجلسة ..)

محمد المختار جنات

1968 - 9 - 20



بقلم : سمير العيادي

لا تزال الكأس ملأنة ، وعصير الليمون في تلاطم كويراته الغازية يعكس
فقايع الشمس المستطيلة المستديرة الفاقعة المفقوعة ويخشي وزوزة الفراغ
الهائل بجوف طنين الذباب والذباب في وحشيته البدائية يحفر الزمن حفرا
وقد دخل وقد جلس وقد يش من تحيتي فمرر اليدين على الجبين اللزج
العفن النتن وكرر فمررهما على الأنف والشففتين شفة شفة مثنائيا متساقطا
منطلقا في خضم مقهى اليهود وعممة الساعة التي لم تعد تدق وهمس وغياب
وفراغ وذباب وكروسي وطاولة ودفع وإحراة وضيق ومقهى وساعة لم تعد
تدق ووشوشة وعين ترى وأذن تسمع وذهاب يجيء وذباب يرى يلسع لسعا
لسعا وعجوز وفتى وشاشية حمراء وصفراء فاقعة مفقوعة في خضم مقهى
المعهد وعممة الساعة التي لم تعد تدق .

وشمس وسمراء دجوية الصوغ حريرية الاغراء آه يا عيني يا عيني تمر
ولا تغتم وفي عينيها نار وفضيحة وفي شفيتها

أحبك يا وادي مجردة المنخزل والبحر يقتبل نزيك والاعصار يقتاض فيفلق
عدلهم فلما ويصرع القرار صرعا صرعا ويلولب سعيك ويضاجع أخذوك
الدفاق والليل وقرص القمر ينهر الشياطين ويجرف همسة النبات المنبت
وأمة المرمر اليتيم والزبد وأرواح الكهنة في قبضة « معطا نبعل » تغزل الزكاة
من قبس حدقاتهم ويداي وحجرة تنتحر في شفاقية الماء فتتوت حلقة حلقة
ويداي متعلقتان بالنور الشعشعاني في ذيل أرجوان عريسة بعل قالوا معناها
خطيبة بعل وبعل آله سمر في الزمن والزمن فتته التاريخ .

جرعة ومقهى وعاصفة هوجاء ترفع فستانها لحد النهدين الراقصتين جريا
جريا اللاهئين ركضا ركضا والشرطى والساعة لم تعد تدق وعاصفة هوجاء
ترفع فستانها لحد النهدين الراقصين جريا جريا اللاهئين ركضا ركضا
والشرطى والساعة لم تعد تدق وعاصفة هوجاء

نتنظرها العمر بفراغ غير أن صومعة المعبد حزينة دثرت زخرفها ايادى
الرياح فنشرت نظرة شؤم وتثاؤب عل جمجمة الجندي المجهول والشرطى فى
زى زمادى يحتار بين صفارته والأغفاء والسيارات والنفس الطويل وعجلات
المطاط ومطاط الاحذية وحذاءى غارق فى الزبد الاسود العفن النتن وعيناي

ولماذا يهرول الشرطى

والسمراء

والرياح الحمراء

سكن وسكت والكأس شاحبة حامضة ودودة صفراء تكرر اسطولها لتغزو
نبضى ولماذا يهرول دماغى فى مصب وادى مجردة لعلها رائحة قرطاج أو الاريح
المنتشر من طيب أعطاف عريسة بعل قالوا هو الفارح لا أحد يقوده والسائق
الاعور ماسك مقوده ومقوده ماسك الدواليب دواليب العجلات عجلات المطاط
مطاط الاحذية والشرطى يهتز والسائق الاعور يسأله بكل احترام وارتجاف *

من أين الطريق الى متحف باردو

أعنى دار العجائب

ولماذا يهرول الشرطى

رفيقى يقول من حيث لا أراه : لقد شرع ينهشنى *

تجيب شفتاي : ومن أين تسربه الى عظامك يا عبد بعل

تخبر أحشاؤه : من حيث كنت أجحده

والسمراء لا تعود قالوا هو الزمن ثم آه لا تعود وأسطول الدودة فى عرض
الزبد الابيض المتوسط يقطع الامواج يشقها شقا يمزقها وجواريه المستديرة
الكبيرة القديرة تفرز مجاذفها فى الملح الاجاج والعضلات تشتد والاعين تزيد
والصيححات تشهر لعان مصاهرها فى وجه افق خائب يرتعش لمراى السيوف
والرماح ولا ترس للدفاع فى وجه الغازى الطاغية سيبون قالوا روماني لا نعرفه
فتصيب السهام لوعة نبضى الرتيب الحبيب الكتيب فتنفجر صلواته على حجر

نذرى اصفر فاقع مفقوع تهمس ولا تدمع تدعو ولا تخفت : أم بعمل سمين
أى بعمل أدير أرحم دموعى .

ليت أن الشرطى يصفر غير أن الشرطى يهرول ويفسر : اله السموات
القدير لا ترحم دموع أحد غيرى .

فلما شاهده حنبل شهق فى حرقه اللوعة : آه يا قرطاج انى أرزح تحت
عب الأمك . . . ليت حنبل أدرك الخطأ وسمع قبور قرطاج توشوش العظمة
العظمة . العظمة . . .

ورفيقى ان كان حقا رفيقى ان كان فى اليقظة التى خسفت عينها رفيقى
ينهشه القلق الاصفر الفاقع المفقوع ونحن ننتظر عاصفة هوجاء والصمت يحلق
فوق جمعيتنا على متن اشعة المروحة الهوائية نخين الشطحات قانى التدفق
فأنهض وينهض نحو مائدة أخرى لا همس بها ولا أدق فتتأفف من طهر دم
الصمت .

أحمل الكاس والكأس لا يزال ملأته والساعة شاخصة فى الاضواء المتلاطمة
به ولا تدق قالوا هى لبيبة تفهم . قالوا هى الزمن . تقول معدته : لقد تجولت
بكل أزقة المدينة والمدينة خراب مآذنها تصيح فوق كوم الجدران والمتارجحة على
الهضاب النابية بين البحيرة اليتيمة السوداء والقلعة النابتة فى المياه الثقيلة
يراودها النورس ولا يقتلعها والعفن والقطار مفقوع وشمس فاقعة تدق جمعيتى
وتمطط خطواتى وتسيل عرقى فى الابط والمأبض .

وهمت بين القطة والجرو والمزبلة فى أزقة لم يعترضنى بها غير شيخ
هيكلى الجلسة على عتبة باب أصفر فاقع دقت مساميره منذ عهد أبى زكرياء
الحفصى وكان ييكى بدموع لم يصفها التاريخ وجهها ابن خلدون وابن أبى
الضياف وظفر سبابته يقتلع القذى من رموشه والصمغ من صدغيه .

واذ آنحيت أسأله السبب أحتمى ببرنسه الفاحم وارتعش فلم يجبنى غير
اصطكاك اضراسه هامسا : لقد هربت لقد هربت وتركتنى جائعا ضمآن وحدى .
فى وحدتى انى اشكوها للسلط العليا فاهتزت مفاصلى .

اهتزت مفاصلى وحمض لسانى وكدت أدمع أرشح دمعا دمعا فشتمت العطش

والحب وكررت حداثى وكتمت جزعى حتى وصلتك فوجدتك كالرمس خاويا
صامتاً .

تجيب أسنانى كالناووس فنتته التاريخ .

يصيح دماغه : انك لاتحس لاتدرك أن مأساته مأساتى وأن شهقته شهقتى
والدمع عند كلانا قد خنقته امرئة خانت وفرت مع فتى لايعرف جوعاً أو فقراً .

تجيب شفتى السفلى : لو أن المرقع تخون لما ألهمت

ينفلق أحتجاجة : تخون اذا لم يعد يرغيبها عريسها لانه أصبح فقيراً جائعاً
فقيراً جائعاً لانه أصبح وهما فارغاً فاغراً فام في صف المحسنين والمرأة نهم ونهم
شديد تعضك لانها ضامئة لاهفة فاذا نضبت دماؤك وشاحت شرايينك تقلصت
من تحت ابطك بمرونة الزئبق لقد عربت لقلع هربت وتركتنى جائعاً ضماً
وحدى فى وحدتى انى اشكوها للسلط العليا والسلط العليا هى التى تركتنى
بدون خبز أو سحيق أو جرعة هواة نقية أدخل بها الموت تجيب شفتى العليا :
الانتحار فضيحة والكبت مذلة وعصير الليمون لم يلق سكرًا منذ أربع عشر
دقيقة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يا زمناً فنتته التاريخ يا زمناً .

وادخل وجهى تحت اللحاف الموصلى اخجل من سمرائى وهى تفتك بى
وصاحبى ينظر وينتظر

والمقهى جلد جلود والشرطى يهرول والسائق الاعور يقبل رفيقته ويدير
المقود والدواليب والعجلات غير أن الساعة لا تدق والدماغ يغلى والخيال

والامواج تتحطم على بياض ضلوعنا النحيلة الذابلة ونحن فى عناق لا يتنفس
ولا يتنقهر والدودة خمدت بين سباتى وابهامى عجننتها فلا دم فيها فلا دم
فى عروقها غير دمي البارد الشارد المارد ومعطاً نبعل قالوا جمعت تحت نفوذها
كهنة قرطاج فى ابتسامتها الشفقية توجج البخور والاحلام فى عرض النسيان
والتخدير والكهنة يسعون فى مهل وتلفظ وتمتمة ورممة وهممة يقتلعون

المسامير من الشعاب المندثرة تحت الاسلاك الشائكة وينقشون بها الاعمدة والصوامع : قل ليس التاريخ ما كان انما التاريخ ما يكون .

وتعود بى الذكرى الى حيث بدأت أتوقع دقات ضميرى وسمرائى تحطم نهديها على سويدائى وابهام رجلى يتلذذ الزبد وهو ناشز نافر ناهر قاهر والنسرطى يلاحق القطار يخر قضبانه والقضبان تعوج الافق والافق ينحر الاسطول والدددودة .

أ يكون قد انهزم أ يكون قد تقهقر حين استجاب بعلى حمون وأطلق على بركنه وقال : انما أنت صورة منى يا صالبعل فانهض عدت يومئذ الى المنزل الذى به سكن أبى وأمى ورجلاى لا تلمسان الارض ترفعا وخجلا بل حيرة واضطرابا والضوء يتدحرج من أعينكم يا سلاوة يا حلاق يا خضار يا فحام والضوء يتدحرج تلملمه أصابع فضية لا مرئية وتعرضه على هتاف الوعى المفقود وتعصره بحلقى ريقا لا يعرف كيف يمشى وسط هذا الحى الصاخب وقت ضحى رجوع فاذا كان كل اهلى جائعين فما هو الجوع .

أما الموت فذلك ما لا أجهله اذ بكيت أمى فى نفس ذلك اليوم فقد خنقت أبى وكان أبى خنقها أو خنقا من قبل شىء آخر مجهول النسبة أو أنى ما دريت الحاصل والصائر وأنا صورة منه كما يقول

ترى لم اندحرت حضارة قرطاج والحال أن ...

ثم ماذا لو أن النورس يسقط فى لج النسيان يميث بذلك القلق وأنا قلق أتمرغ فى أحضان الحرير الارجوانى والحب ذاته لم يعد يشفى والحجارة النابتة النابتة على الساحل يجرحها نسيم المساء فيشطع الجسم المورور ويجرعها مشكلتى خلقت من قبر ذاتى والخروج منها أيسر من جرعة الماء ...

تقول سمرائى : قصتك ثقيلة .

قلت لسمرائى : الساعة لا تدق والمشكل فى جوف ريفقى لو مسنى المشكل لابرزت مغالبى

تقول سمرائى : كيف عرفتنى .

قلت لياني : اقتضت ذلك قصتنا

تقول سمرائي : لما رأيتك تجالس ذاك المسكين في ذلك المقهى المعلوم كان الشرطي قد أهمل صفارته وترك السائق الاعور واخذ يلاحقني لسبب اجهله فلم أتوقف لاجييك *

أجيبها وأنا ملي تختال تحت التهدين : شيء مضحك أن أعشقك وتهرب عنه زوجته *

تقول سمرائي : أنت منبع لا يهوب منه أحد يا حمودة أنت حب حنون فيك من النقل ما يرضاه التفكير *

فاضمها ثم لا أتركها تتنفس قالوا : هي لبيبة تفهم

تقول سمرائي : ليت زوجته هربت واكتفت بالهروب *

أندري لم كان يلاحقني الشرطي ذاك الذي هرول فداس زهور الجندي المجهول المتوفى في العبرة والتاريخ *

ثم ماذا لو أن النورس يسقط ليت جنمعل أدرك الخطأ وسمع قبور قرطاج توشوش : العظمة هي أن تبني بلادك في حدودها وأن تملأها قمحا وزيتونا وعزة لانسانها المهان *

ربما كان الشرطي قلقا ينتابه الحجل والواجب فلقد علمت أنه أصدر حكما قاسيا على شيخ حطام لم ينق طعما منذ سبعة أعوام لمجرد أنه باع البطيخ في حارتنا وجنازة والدي تمر

تقول سمرائي : نظرتك ذاهلة ذابلة وكأس الليمون أمامك فاغرة الفم والمقهى ضجيج لا يسمع وخور لا ينادي به مؤذن أعلم أن مئذنة المدينة ستحترق

قلت : ربما ، لعل ، الامر بعيد *

قالت : كان الشرطي سيشير الى السائق الاعور بأن يسلك الشارع الايمن حين صحت : ان مرافقة الاعور امرأة خانت زوجها ، فحملني في الاعور وأمر الشرطي كي يلاحقني ففعل

أقول : أنت نائبة في حدك
قالت : أنا نائبة في حدودنا الوقتية، كانت ثورتى صيحة ولعلها تكون أكثر

لقد بدت

أفلق من جديد
فقد أكثر من قال، وقالت المضارع والماضي قد حبلت بهما
تورات الكأس الغازية

وشد بهما ساعه لا تدق

لا تدق

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قصة مريضة من يقرأ ها
ولكنها قصتي
فأرحموني

مهما يكن من أمر مهما يكن فإن القصة حركة لحركات التاريخ كتلاطم
الكوابر والحركة والتلاطم قد وقد وساعتنا لا تدق فمع العلم أن ساعتنا لا
تدق يقول رفيقى وقد أرقه الانتظار : أتعلم ماذا وجدت فى منزلى ؟

قلت واصبى في غصير الليمون تحرك السكر : ماذا وجدت
قال وشريان عينه يومض :

لم أجد منزلا لم أجد منزلا لم أجد سوى ورقة عليها كلمات خطها
فلم شقاء وردى

أقول من صميم رغبتى : شفتها أحبهما

يصيح : كانت تودعنى ساخرة لأن المنزل محاه السيد الاعور صاحب الارض
المجاورة ... يريد بناء قصر كأنها حكاية أطفال أو خرافة عجائز ... أعجبك
هذا يا سيد تاريخ .

قلت : لا .

ومعطاً نعل تستقبلنى برواق معبد سلماتيس قالوا هى لبية تفهم قالوا
كان معبدا فخما تبتسم وتقول : حذار ان عريسة بعلى فى خطر

ويصل النادى بعد ان نسيته ، ويسأل رفيقى : تشرب شيئا ؟

فيجيب المسكين : لا أشرب شيئا . كفانى ما أجزعه

ما أمر الحية ، والانتحار فضيحة .

والعاصفة الهوجاء .

أين هى ؟

ولماذا ننتظرها ؟

كذلك نحن

لا نعلم من كنهنا سوى .

اننا ننتظر .

وصوت الحديد يخر الحديد والقطار يخترق الرياح ويجتاز المياه بقوده سائق
لا أراه ولا يراه النورس المتألق بشحوب الشمس الفاقع المفقوع وسمرائى ...
ما الذ النسبة ... ليتنى كنت أحتضن العالم كله لا لشيء الا لاموت مطمئنا
شبعانا ... ليتنى أنصرف فى كل شيء حتى فى الاسماء المنوعة من الصرف
... آه ليتنى كنت شبعانا ... ينفجر رفيقى والساعة تنظره :

لكنك شيعان ، ولكنك لا تشور

ثم ماذا لو أن النورس ...

تقول معطانبعل : حذار .. ان عريسة بعل في خطر . وتلوح عريسة
بعل تكرر وراءها الارجوان والعطر وتصعد المدرج فتحنى الاعمدة ويسجد
السمقف وتختال في مشيتها والنور يرشح في أبوابها حتى تصل العرش
فتخرج من صدرها نصلا براقا .. ويومض البرق لعنها العاصفة الهوجاء
ستبتدىء ..

والاعور ماسك مقوده مقبل رفيقته يقهقه ساخرا ويامر البنائين بأن يشيدوا
قصرا على أنقاض منزلنا ... ونون الجمع هذه ما دخلها ...

والقطار يصيح صيحته .

ادفعها أمامي شباك التذاكر ازدحام كبير ورجل يبيع الحلويات وطفل
يبيع الماء وعجوز وامرأة وأطفال كثيرون يريدون الانطلاق الانفلاق الانزلاق
الانفلاق الانفلاق تذكرت أن ذلك غاية ما يلزم لتصعد مدرج القطار او مدرج
قاطرة القطار في الرتبة الثانية خلف الرتبة الاولى حيث الاعور يقبل رفيقته .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تقول سمرائي : لو لم تمت قرطاج لما ابتعد عنها وادى مجردة .

أقول أنا : قرطاج ماتت ولا أحد يعلم ان قاتلها هو حنبل .

تقول سمرائي : أتدرك أنت هذا ؟

أقول أنا : وأكبر من هذا وأدهى وأمر

الاعور ماسك مقوده مقبل رفيقته ينظر قصره يعلو شيئا فشيئا والنادل لم
يأت بشيء - والجندى المجهول والبرق - والبرق بلا رعد - ونحن نتفتت
والساعة لا تدق

والدودة قد أقيت بها تحت مطاط حذائي والشيخ المسكين يحدق فينا ونحن
نتعاقق فتحض دمعته على أخاديد وجهه ويصمت صمت الورقة البيضاء
فنسأله : من أين جئت ؟ ... فلا يجيب . بل ينهض ليشكوها الى السلط
العليا والقصر يعلو شيئا فشيئا والاعور ينظر لرفيقته الحسناء ويقول لها :

لعل زوجك يبحث عنك فلم لا تعودين اليه • فتصغر الحسناء فاقعة مفقوعة
وتقول : ولكننا لم نذهب بعد الى متحف باردو • فينهرها : قصرى جميل
أجمل من متحف باردو وقصرى ساسكن به اما المتحف فانى هارب منه انما
هى حيلة انطلت عليك وانتهى الان بلا منزل فابحثى عن منزل لك •

وببحث الشيخ المسكين عن منزله تدفعه القلظ والمزابل لعله يجد شيئا
فيعود الينا ويرفع يديه نحو البرق ويقول : يا رعد •• ولا يتم دعاءه اذ يتجه
نحو القطار والقطار يلاحق النورس

تذلك نحن لا ندرك من أمرنا
شيئا ،

اشملاء زمن
فى قبضة ساعة لا تدق

وعريسة بعلى منتصبة امام العرش والكهنة يرتجفون ••• يرتجفون وأعينهم
صامتة وأيديهم فى آذانهم ومولك بعلى يحدث فى سمعائى ، وهى ساخرة منه
قالوا نهى لبيبة تنهم ، قالوا : هو اله قرطاجنى فى صورة وثن قبيح يقدم
له الاطقال قربانا ، والاعور يسلك مقوده وفهقه وقام من مقعده الوثير فى الرتبة
الاولى وفتح الباب الحاجز بينه وبين السائق الذى لا اراه اظنه من سكان الضاحية
الجنوبية وأدخل بين ضلوعه سكيناً أو مديّة أو خنجراً فانفلت التيسار فى
البخيرة والقطار يسارعه والاعور يقهقه يريد أن ينتزعها منى وهو فى صورة
وثن قبيح الحلقة له رأس ثور على جسم بشرى وكان القرطاجنيون يقدمون
لمعبودهم هذا فلذات أكبادهم بدون تردد أو إبطاء فهو الاله الذى لا يسكن
غضبه ولا يهدأ سخطه الا بتقديم الضحايا البشرية •

لكن

عريسة بعلى

يحميها

بعلى حمون

فلن

يمسها أذى

ويصبح القطار صيحته

أوحش ما فى الموت انها تكون مرة واحدة •
وهذا الجندى كم مات من مرة

والشرطى فى زايه الرمادى ينتصب أمامى ويقاملىنى ثم يقول : بأمر
من مولك بعل وجب يجب وجوبا تاما حجن سمرالك وأنا مأمور بأخذها منك ،
فبيكى رقيقى اذ يرى زوجته قادمة تعتذر وتنوح فحينهض ليكفكف لها الدمع
ويلطفها .. ويقبلها ويهمس فى أذنها : لا تبالى لست المذنبه فى كل هذا .

والنادل قد سئم صممتا فقدم الى ووشوش وهوشة لا معنى لها الا اذا
وضعت فى ظرفها التاريخى لقد داس القطار شيئا هرما حطاما .

والقطار يسارع التيار تيار الدم المنسيك من جرح السائق الذى لا أراه .
والقطار يهيم بالانفلاق الانزلاق :

والكأس لا يزال ملانة ومنزلى قد يازيل فالمدينة خراب فى يقظتى فلنحفر
لعلنا نجد عظام الاطفال الرضع الذين وقع احراقهم او فلنرفع القاس لنهشم
تمثال مولك بعل وسمرائى لن ينالها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والساعة

لا

تدق

والموكب الجنائزى والصمت

يخلق فوق الجمجمة

والجمجمة خواء شيد بها تمثال ثائر كناكفا ويناس أو يوغرطة ورقيقى هو
الذى يحفظ تاريخ ما بعد مقتل جرجير والسييل والسير والرعد والموكب
الجنائزى

وتم دفنه بقبر الجندى المجهول

فى ليلة غفل فيها الشرطى

والنورس يتخبط فقيل ان بالمدينة جوعا

والقصر كيف أصبح

والنصل والبرق والرعد والعاصفة الهوجاء والساعة بدأت تدق .

فلنحتم باليقظة لعل القطار يقف ولنحترم المضارع كى لا نخلطه بالماضى
وان كان المضارع والماضى زما واحدا فنته التاريخ .

وانذكر انى تركت الجامعة تفصلنى عنها عناصر صفراء فاقعة مفعوعة لا
اعرف كيف اكتبها ونسيت مدرّوس التاريخ واصبحت للتاريخ صفحة مطوية
قد يعثر عليها باحث كفى على متحف باردو او بين آثار قرطاج

ولم يبق بالكاس غير قطرات

قاطرات القطار بعجها البعد والظلام

وسمراى لا تمر • اىكون قد-اخذها اىكون • ام تكون قد فرت فغابت فى
خضم الموكب قالوا : هى لبيبة تقهم تعلم تحلم • والموكب كرنفال تقوده
سيارات الشرطة

فاليوم عيد مولك بعل والرعد والغزارة والعاصفة الهوجاء

تلك عناصر قصتى والساعة لم تكن تدق ...

والساعة بدأت تدق

فانهض متلعثما ... والكاس مهشم على ارض مقهاثا المهود ... وقطرات
الليمون تنتحب وتتبخّر ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سمير العيادى

أفريل 1968

الرواية التونسية الحديثة في نظر الناقد والمؤرخ أربع روايات في خضم

عرض ونقد : محمد برادة

ليست هذه دراسة عن الرواية التونسية الحديثة ، وانما هو عرض نقدي لروايات أربع تمكنت من قراءتها في هذه الفترة الوجيزة ، ولست أدري الى أي حد يمكن أن تكون هذه الروايات مثقلة وجامعة لخصائص ومميزات الرواية التونسية ، الا أنها ، على ما يبدو ، من أحسن النماذج في هذا المجال . ويتعلق الامر برواية « **التوت المر** » لمحمد العروسي المطوي ، « **وبودودة مات** » لمحمد رشاد الحمزاوي ، « **وبرق الليل** » للبشير خريف ، و« **المنعرج** » لمصطفى الفارسي .

وما لفت نظري في هذه الروايات الأربع أن ثلاثا منها تستمد موضوعها من الماضي ، اذا اعتبرنا أن الحاضر التونسي يبدأ منذ الاستقلال السياسي ، « **فالتوت المر** » تحكي لنا كيف انتصرت ارادة ثلة من الشباب في إحدى القرى على سحر ومفعول حشيشة التكروروي الذي كان يشجع المستعمر انتشاره بين المواطنين . « **وبودودة مات** » ذكريات يرسم الكاتب من خلالها صورة مشرقة للشباب محمود المتحلي بالخصال الفطرية التي تجعل منه نموذجا للانسان الشهم المتضامن لتقايا مع المقهورين . « **وبرق الليل** » قصة تاريخية قصد الكاتب من ورائها الى ابراز ملامح برق الليل ، العبد الخفيف الروح ، كبطل شعبي تتجمع في شخصيته فضائل الرجل المحب لوطنه ، المشع ذكاء وقوة ومرحاً .

رواية « **المنعرج** » وحدها ، تستمد موضوعها من الحاضر ، انها محاولة لتجسيم القلق الخلاق عند شبان يحبون وطنهم ويتطلعون الى تجديد المفاهيم ، يؤمنون برسالة الفكر وقدرته على تغيير الاوضاع الفاسدة .

تلك هي الموضوعات العامة لهذه الروايات ، وقبل ان اناقش قيمتها ومدى عمقها ، أريد أن أقف قليلا ، لاعطيكم الخطوط العامة لكل منها .

التوت المر :

الشيخ مفتاح مهاجر ليبي ، نزع الى تونس ليعمل فلاحا في البساتين ، وهو أب لبنتين احدهما عائشة المقعدة ، وأسرة الحاج علي المجاورة لعائلة الشيخ مفتاح لها بنت هي فاطمة صديقة عائشة ، وشاب هو عبد الله يعمل بانعا في إحدى دكاكين القرية ، إن عبد الله يتوفر على كثير من الحاصل الحميدة ، ولكنه في هذا الاطار القروي المحدود لا يجد ما يملأ به أوقات فراغه سوى التردد على المقهى للعب الورق ، وتدخين التكروري على عادة شباب القرية ورجالها ، ويتعرف عبد الله على عائشة بواسطة أخيه فيعجب بجمالها ، ويشفق على عاهتها ويتعلق قلبه بطبيعتها . وكان غير راض على الحياة التي يحياها مع أصدقائه مدمنين على تناول التكروري تلك الموصوفة الوحيدة التي تحيل احلامهم حقائق ، وتنقلهم من عالم القرية الضيق الى اجواء الخيال الرحبة ، وكان المستعمر يشجع انتشار التكروري بين سكان القرية ويمنحهم بئعه وتناوله ، مستهدفا من وراء ذلك تحطيم ارادتهم ، وضمائم استكانتهم ، وأراد عبد الله أن يتمرّد على هذا الوضع فدعا اصدقاءه الى تنظيم جمعية سرية لمحاربة التكروري ومقاومة غارسيه وبائعيه . وسرعان ما نجحت الدعوة ، واستقبلها نساء القرية بالفرح والتأييد ، فكانت بداية لمقاومة أوسع لمخططات المستعمر ، وليكون عبد الله منسجما مع نفسه ، فانه تزوج بعائشة رغم عاهتها ورغم معارضة أمه ، وكانت فرحته عظيمة عندما أنجبت له ابنا وشفيقت رجلاها اثر الولادة فعاد الصفاء الى العائلة .

ان محمد العروسي المطوي في التوت المر ، يتقيد بواقعية تسجيلية تحرص على نقل كل الجزئيات ، وعلى تجسيم كل التلاوين المرتبطة بالاجواء الموصوفة وهذا ما يجعله احيانا يأتي بأشياء زائدة (ص 46 حوار لا مبرر له) .

وما افتقده في هذه الرواية هو الرؤية المتكاملة التي تسلك الاحداث وتوجهها ، ذلك أنه عندما يتعلق الامر بالكتابة عن حقبة انتهت ، وبتفسير جانب من الماضي ، فلا بد من رؤية جامعة تنظر بعين الكاتب ومنظاره الى تلك الحقبة . واذا ما اقتصرّت الرواية على سرد الاحداث في تتابع وتلقائية ، ودون

الشعب من تضحيات لمقاومة الدخلاء ، وبرق الليل عبد اسود جميل الملامح ،
 مرح المزاج ، كثير الحيل ، محب للمغامرات ، وقد صنع منه البشير خريف
 نموذجا لشخصية شعبية تجسم خصالا محبوبة . ولعل الكاتب أراد ان يبرز
 الرباط الجامع بين القيم المستمدة من الماضي وبين متطلبات القومية الحاضرة ،
 ويقول البشير خريف شائكا السبب الذي دفعه الى اختيار هذا الموضوع
 التاريخي : « ربما يرجع ذلك الى أنني مغرم بكتابات القرن السابع عشر ثم
 الى كون مثلي الاعلى يتمثل دائما في ان اكشف للمواطن التونسي عن شخصيته
 وأن أعطيه أدبا خاصا به » (1) .

هناك اذن ، حرص على بلورة الشخصية القومية من خلال العودة الى الصفحات
 المشرقة من التاريخ ، واستمداد الاجواء والعناصر الروائية الملائمة لهذا
 الغرض ، وفعلنا ، فان الاحداث التاريخية كانت دائما معيننا ثرا لاستيحاء
 الروائيين ، شريطة ان يعرفوا كيف يفسرون الحاضر من خلال الماضي ، وكيف
 يعطونه بعدا جديدا مطابقا لمشاغلنا في الحاضر والمستقبل . وأظن أن البشير
 خريف وفق الى حد ما في تحقيق هذا الغرض ، وان كنا نفتقد شخصية أعمق
 من شخصية برق الليل العبد الطريف ، لتفلسف لنا الرؤية الاستمرارية التي
 قصد اليها الكاتب

المنعرج : المنعرج هو التي نتحدثت عن الحاضر : ثلة من الشباب
 المتعلم المتحمس يبحثون عن شكل يصرفون به طاقاتهم وحيويتهم في خدمة
 بلادهم ، وأول ما يفكرون به اصدار مجلة تعبر عن آرائهم ونظرياتهم ..
 وبعد مناقشة طويلة حول رسالة الفكر والادب ، يختارون عادلا المهندس رئيس
 تحرير لمجلتهم . والواقع ان المنعرج هي قصة القلق الذي يعيش فيه عادل
 باعتباره نموذجا لهؤلاء الشباب ، ان عادل يلتقي بسلوى المعجبة بشعره ،
 فيتبادلان الحب ، ولكن انشغاله بتحويل مياه البحر الى مياه عذبة صالحة
 للشرب ، يجعله مترددا في الزواج منها ، ومن وراء ذلك ، تعاوده ذكريات
 حب فاشل في فرنسا ، فلا يجد عزاء الا في التفاني في تنقيبه ، والا في
 مناجاة الطبيعة والتأمل في اسرارها ، وشيئا فشيئا يبتعد عن سلوى وعن
 اصداقائه في العاصمة ، ولكن صديقه الهادي يلاحقه ، ويصطحب معه سلوى ،

(2) عن رسالة بعث بها الى الدكتور عبد الكبير الخطيبي مؤلف :
 Le roman maghrébin

فتتأجج العاطفتان ويكاد العاشقان يتخطيان الجدار لولا ان حادثة تقع لهما في المنعرج ، فيختطف الموت سلوى من عادل ليتركه بين اليأس والرجاء .

ان رواية المنعرج تخدعنا بلألفافكارها ، وثخافة تعابيرها ، وغنائية أسلوبها . . ونظن لأول وهلة ان الكاتب سيتحفظ بما افتقدناه في الروايات السابقة ، وسيجعلنا نرتاد قلب الجميل الجديد ونرافقه في صراعاته ومعضلاته . . ولكن شيئا ما يباعد بيننا وبين هذه المتعة . . وهو شيء احترت في تسميته ، ولم أجد وصفا آخر سوى الرومانسية المكسوة بالتأملات المتفلسفة . مصطفى الفارسي تغلب عليه الرؤية الرومانسية في فهم البناء والشخصيات الروائية . . فبالإضافة الى ان البطل عادل مهندس فهو مثقف وشاعر وفنان ، ومصارع ، وعاشق ، ولأنه يحب وطنه ويريد ان يخدمه ، فهو ينصرف الى تحويل مياه البحر « وجعلنا من الماء كل شيء حي » أليس في ذلك تأثير بالمفهوم الرومانسي الذي يسرف في جعل البطل متفوقا ، وفريسة لقلق مرتبط بأسباب ميتافيزيقية أكثر منها أسباب أرضية ؟

ورواية المنعرج تقودنا الى التساؤل عما اذا كان الاتجاه الرومانسي ما يزال مبررا في هذه المرحلة من تاريخ الشعب التونسي ، ولا شك ان الادب الرومانسي لعب دورا ايجابيا قبل الاستقلال لأنه كان يتجاوز الحتمية لواقع اليم ، فاستطاع ان يستنهض العزائم ، وأن يعزز الحركات الوطنية بفنائيتها وخيالاته ، وأذكر على سبيل المثال : شعر ابي القاسم الشابي المتفائل في يأسه ، وقصص وادي الدماء لعبد المجيد بنجلون المتوثب في عدوئه ، ولكننا في هذه المرحلة القومية المواجهة لآعباء التشييد والبحث عن الاسس ، وبلورة الكيان ، لانستطع ان نستسيغ الاتجاه الرومانسي ، لان من شأنه أن يضعف الرؤية ، ويطمس المعضلات الاساسية .

ملاحظات :

يخيل الى بعد قراءتي هذه الروايات الاربع ، ان الادب التونسي لم يجد من يضع حجر الزاوية في المعمار الروائي التونسي الحديث ، وأن الذين يكتبون ما يزالون يحومون دون ان يصلوا الى نقطة ارتكاز متصلة واثق اتصال بمعضلات الحاضر وتطلعات المستقبل .

وهذا يجعلني أطرح سؤالاً مشتركاً بين الآداب العربية الحديثة وهو : هل كتب على الآداب العربي أن يكون دائماً مقتفياً لخطى التغيرات السياسية والاجتماعية ، ومجرد مسجل أمين لآحداثها ؟ أما أن الآوان لكي يتخلص الآداب من تبعيته للمقتضيات السياسية الاجتماعية المرحلية ، ليرتاد آفاق التبشير بالقيم الجديدة ، وليحفز الناس على المزيد من الارتقاء ، وليشكل قوة حفز مستمر ؟

يبدو لي أن وضعية الآداب الروائي والقصصي المكتوب بالعربية في أقطار المغرب ، تشبه إلى حد كبير وضعية الآداب الروائي والقصصي بالأقطار الشقيقة في الشرق خلال العشرينات من هذا القرن وأقصد أن كثيراً من كتابنا يبدعون تقليداً لنموذج قرأوه ، أو لرأى هزت مشاعرهم ، أو استجابة لدوافع نفسية لم يرتقوا بها إلى مستوى الوعي الفني . إن محمد حسين هيكل عندما كتب روايته زينب منذ أكثر من 60 سنة لم يكن مدركاً لخصائص الشكل الروائي ومدى ترابطه وتفاعله مع البنيات المجتمعية والحضارية التي نشأ فيها . ولم يكن يدري إلى أي حد يستطيع أن يرتقى ببوليته أو أدرك الأصالة التي تكتسبها الرواية حينما تستمد ثيماتها ودعائمها الفنية من قيم المجتمع ، وقواه المتصارعة ، وقيمه المتجابهة . وقد يشفع له في هذا الشكل التعبيري الجديد ، ووجود الوعي الاجتماعي والثقافي في حالة انبهاام ومخاض . . وكان طبيعياً أن يتلافى هذا النقص بعد مرور 50 سنة ، حينما كتب عبد الرحمن الشرفاوي روايته الأرض في نفس موضوع هيكل ، فتجنب البناء المختلط ، الفارق في شتى التأثيرات ، واستمد هيكله الروائي من الهياكل المجتمعية المتصارعة بحكم قانون التاريخ .

ما أريد أن أخلص إليه من هذا المثال ، هو أننا في أقطار المغرب ، ما دمنا على عتبة الزساء دعائم نهضتنا الأدبية والفكرية فسيمكننا أن نتجنب كثيراً من مراحل التعثر والتقليد إذا انطلقنا من مبدأ إعادة النظر في حصيلة الانتاج العربي منذ مطلع النهضة الحديثة ، وإعادة النظر هذه تقتضي دراسة الاشكال والمضامين دراسة نقدية . ودراسة مجتمعاتنا وتطوراتها ، والاستفادة من القيم الانسانية الايجابية في تراثنا ، لا سفلالها في ابداعنا الحاضر كضمانسة للاستمرارية التاريخية ، بعبارة أخرى ، لقد انتهى العهد الذي يبدع فيه الآداب

تلقائيا او محملا بانطباعات عاطفية .. وان على الاديب أن يكون ناقدًا ، كما ان هناك من يطالب الناقد بأن يكون مبدعا ، وهذه الملكة النقدية والثقافية العميقة هي التي تتيح للاديب الا يبقى مجرد مسجل للاحداث ، بل يصبح معبرا ملتزما عن « الوعي الممكن » .

ان هذه الروايات التونسية التي أوجت لي بهذه الخواطر ، قد اهتمت باستذكار الماضي ، وتجنب الحاضر والمستقبل ..

وفي اعتقادي ان الرواية في ادبنا العربي ، لن تستكمل وجودها ، وتفرض مكانتها ، الا بقدر ما تصبح شكلا تعبيريا لوضع الاشياء والقيم موضع التساؤل وللمحاولة فهم التطورات والتغيرات ، والعلائق المعقدة التي تنشأ في مجتمعنا ، وتشكل ملامحه وتوضح مساره . وبعبارة اخرى الا اذا جعلنا من الرواية مجالا لعكس الصراع المجتمعي بكل ما يتطلبه الصراع من اختيار وفهم لحركة التاريخ .

محمد ——— برادة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(*) ملحوظة كاتب المقال هو استاذ بجامعة الرباط بالمغرب الشقيق وعضو نادي الفكر .



بقلم : احمد ممو

- أمى .. لماذا تبسّم جارتنا عند ما يقال لها : انها جميلة ؟ ..
- لأن كل النساء يتبسمن عندما يقال لهن ذلك .
- أمى .. لماذا تجلس جارتنا واضعة ساقا على ساق ؟
- لانها تريد أن تجلس هكذا .
- أمى .. لماذا لا تجلسين كما تجلس جارتنا ؟
- لاني اجلس كما اريد .. وقد اجلس أحيانا كما تجلس هي ..
- أمى .. لماذا تكون جارتنا جميلة عندما تأتي الى منزلنا ؟

- لا يا أماه . انها ليست جميلة دائما .. انى اكرهها .. لقد أحسست بطلاة شفيتها يلتصق بخدى عندما قبلتنى وقالت لى .. « لا تجر كثيرا لكى لا يؤلك قلبك » جارتنا تضع الطلاء على شفيتها والمساحيق على وجهها . أمى !
انت جميلة . وأجمل حتى من جارتنا ، لانك عندما تقبليننى لا تتركين طلاء شفتيك على وجهى .

أمى .. هل قال لك أحد : أنت جميلة ؟ هل قال لك أبى ذلك .
- لقد كان أبوك يقول ذلك فى يوم ما ولكنه لم يقله منذ مدة .
- لعلك أصبحت لا تضعين الاصبغة على وجهك ؟ . أبى لا يقول « أنت جميلة » الا لمن تضع المساحيق على وجهها .. سأقول لك ذلك عوضا عن أبى ..
- ان أباك انسان طيب قد كثرت مشاغله ، فأصبح لا يجد الوقت الكافى ليقول أى شىء . . . لو وجد الوقت لقال لى « أنت جميلة » حتى بدون أصباغ على وجهى .

أمي تريد أن أصدق كل شيء عن أبي ، لأنها هي تصدق عنه كل شيء .
 أمي جميلة حتى بدون أصباغ . أمي لا تعلم أن أبي قد قال لجارتنا « أنت جميلة »
 جارتنا لا تعلم أن أبي لا يقول ذلك لامي . . أمي لا تبتسم عندما أقول لها « أنت
 جميلة » أما جارتنا فتبتسم عندما يقول لها أبي ذلك . . زوج جارتنا لا يقول
 لامي . . أمي لا تبتسم عندما أقول لها « أنت جميلة » أما جارتنا فتبتسم
 عندما يقول لها أبي ذلك . . زوج جارتنا لا يقول لامي . . « أنت جميلة » أما
 جارتنا فتبتسم عندما يقول لها أبي ذلك « زوج جارتنا لا يقول لامي » أنت
 جميلة » كما أنه لا يقول ذلك لجارتنا . لقد سمعت جارتنا تقول لأبي : انزوجها
 لا يقول لها ذلك . زوج جارتنا يحمل نظارتين من الزجاج السميكة لانه
 لا يرى جيدا . لعله لا يرى أن زوجته جميلة ؟ لعله يحمل نظارتين من الزجاج
 السميكة ليهرب من جمال زوجته ؟ ان سواد نظارتيه يجعله لا يرى أن الثياب
 الداخلية لجارتنا بيضاء . زوج جارتنا لا يرى أن الثياب الداخلية لزوجته بيضاء
 فهو لا يقول لها « أنت جميلة » كما يفعل أبي . زوج جارتنا يحمل نظارتين من
 الزجاج السميكة لكي يعرف من أين يشعل السيارة ولا ليقول لزوجته « أنت
 جميلة » . لقد أخطأ مرة عندما حاول اشعال السيارة في نهايتها الورقية ،
 التي تمسك منها . لكن أبي لا يخطئ ولو مرة واحدة فيقول لامي « أنت جميلة »
 عوضا عن جارتنا . زوج جارتنا يخاف أن يسخر الناس منه عندما يخطئ في
 اشعال السيارة لانه لا يرى جيدا ، كما يخاف أن يقول لامي « أنت جميلة »
 لان أبي يستطيع أن يصدفه . أبي أقوى من جارتنا ، لذلك فهو لا يخاف منه ،
 ويقول لزوجته « أنت جميلة » . أمي لا تبتسم لجارتنا : لانه لا يقول لها ذلك .
 جارتنا لا يقول لامي « أنت جميلة » لأنها لا تجلس واضعة ساقا على ساق . أمي
 لا تجلس واضعة ساقا على ساق لان جارتنا لا يستطيع أن يرى ثيابها الداخلية
 اذ هو يحمل نظارتين بزجاج أسود سميك . أبي يرى جيدا الثياب الداخلية
 لجارتنا لأنها تجلس أمامه واضعة ساقا على ساق عندما تكون أمي خارج المنزل ،
 جارتنا تزورنا كثيرا عندما تكون أمي متغيبه . جارتنا تقول : انها جاءت تسأل
 عن أمي . ولكن أبي لا يقول أبدا لامي : ان جارتنا جاءت تسأل عنها . لعل أبي
 لا يجد الوقت الكافي ليقول ذلك لامي . أبي لا يجد الوقت الا ليقول : ان
 الصغار لا يجب أن يجلسوا مع الكبار عندما يتحدثون ، لذلك يطلب مني أن
 اذهب الى الحديقة عندما تأتي جارتنا . جارتنا تنظر الى وتقول لي : « لا تتعب
 نفسك بالجرى ان ذلك يؤلم قلبك » . جارتنا لا تعلم أن ما يؤلم قلبي هو عدم

سماع احاديث الكبار لاني صغير . اريد ان اكون كابى اجلس مع الكبار
فى « الصالون » . عندما اكون كابى لن يؤمنى قلبى لان أبى لا يؤله قلبه .
عندما تجلس جارتنا فى « الصالون » مع أبى تضع سداقا على ساق فتبدو ثيابها
الداخلية . لقد شاهدها مرة كذلك عندما دفعت الباب فجأة وقال لى أبى
بعد ذلك : « يجب أن تستاذن قبل أن تدخل » عندما كنت مرة فوق شجرة
الثوت بالحديقة أجمع الاوراق لدودتى التى أرببها سمعت صبيها يقول لرفيقه
عندما كانا مارين قرب حديقتنا : ان استاذ التربية قد قال لهم ان النظر الى
جسد المرأة حرام . استاذة التربية يحملون نظرات بزجاج اسود سميك لكى
لا ينظروا الى أجساد نسائهم ، لان ذلك حرام . جارنا لا ينظر الى الثياب
الداخلية لزوجته لانه لا ينظر الى جسدها لانه أستاذ تربية .

أبى يقول : ان الحرام هو أن يترك الانسان ضميره يؤنبه .

سألت أبى : لماذا تذهب أُمى الى زيارة أضرحة الاولياء والصالحين ؟ فقال
لى : « لكى ترضى ضميرها » أُمى لاتفعل الحرام لانها لا تترك ضميرها يؤنبها

– أبى ! لماذا لا تلبس نظارتين بزجاج سميك ؟

– لاني لست ممثلا سينمائيا .

– وهل جارنا ممثل سينمائى ؟ انه استاذ تربية .

– آه ! تقصد نظارتين للرؤية . لا لزوم لذلك مادمت ارى جيدا .. انى

أرى ما لاتراه القطط فى الظلام .

– أبى . لماذا لا تقول لأمى : « أنت جميلة » ؟

– قد اقلعها لو كررت لها ذلك . انها جميلة حتى ولو لم تسمع ذلك منى .

– أبى ! لماذا لا تدخن السقاير عوضا عن الغليون . ان الغليون أثقل .

– لان رائحة تبغ الغليون افضل .

أبى كأمى يريد أن أصدق كل ما يقوله كما تصدق أُمى كل ما يقوله . أبى
لايدخن السقاير لكى لأبشعها من أعقابها كما يفعل جارنا . أبى لايريد أن
يضحك الناس منه ، لانه قد يخطئ كما يفعل جارنا . أبى ضحك على جارنا
وضحكت معه زوجة جارنا عند ما أشعل جارنا السيقارة من عقبها . أمى
لم تضحك فى ذلك الحين . أمى دائما حزينة ، وفى حزنها جمالها الذى لا يذهب

أمي جميلة لانها حزينة ، ولانها بدون مساحيق . لقد ارتبك جارنا عندما أخطأ اشعال السيقارة وتغامزت زوجته وأبي . أما أمي فنظرت الى كأس الشاي التي بين يديها . ونظر أبي الى ثياب جارنا الداخلية من تحت المنضدة لانها كانت جالسة الى جانبه . ونظرت انا الى وجه جارنا فشاهدت العرق على خديه . وتكلمت امي عن الحشرات التي بدأت تتسرب من الحديقة الى المنزل ونسيت ارتباك جارنا عندما طلبت مني أمي ان انهي ما في كأسى بسرعة .

نهض جارنا ليعمل . وتسألت لماذا أبي لا يصلح . ؟ ذهبت أمي الى المطبخ حاملة اواني الشاي ووضعت جارتنا يدها على رقبتي . سألتني جارتنا عن دودات الحرير التي أرببها وقالت لي : انها تنوى أن تصنع صناديق من حريرها وشعرت بالمساحيق تلتصق برقبتي . كانت يدها لزجة . لعل ذلك من العرق؟ كنت أتمنى أن أعرب من يدها . وشعرت بقلبي يدق بسرعة . وعريت من نظراتها عندما أرخيت بنظري الى قدمي . لاحظت أنها قد وضعت ساقاً على ساق . كانت ثيابها الداخلية تبدو بيضاء من ناحية أبي . لا . . . لكن أعطيها حرير دوداتي . ومن قال : انها لا تصنع منه ثيابا داخلية ؟ وتذكرت أن استاذ التربية قد قال لذلك الولد : ان النظر الى جسد المرأة حرام . كان أبي ينظر الى قدميه او الى قدميها عندما رفعت نظري . وعرفت لماذا أبي يصلح . أبي ينتهز فرصة صلاة جارنا لينظر الى ثياب جارتنا الداخلية . لو رآه جارنا لسكت لان جارنا يخاف . ولكن أبي لا يخاف من جارنا اذ هو ينظر الى ثياب زوجته الداخلية . أبي لا يصدق ان ذلك حرام لان ضميره لا يؤثبه . ابشئ لا يخاف حتى من الحرام .

أحسست بقلبي يدفع الغلاف عن المرأة مباشرة ، امرأة صغيرة بغلاف جلدي أسود . وكان مكان المشط فارغا . وشعرت أن المرأة تلمع تحت القميص . لو وقفت الآن أمام أمي لامكنها ان ترى وجهها في المرأة التي تحت قميصي وفوق قلبي ، ولعرفت أنها تبدو حزينة ، لا لانه ليس هناك من يقول لها : « انت جميلة » بل لان كاتبها مزمنة ، هادئة ، ولانها تنظر دائما الى قلبى الذي قال عنه الطبيب : انه ضعيف .

لو وقفت في هذا الحين أمام أبي لامكنه أن يرى جيدا أنه لا يحمل نظارتين من الزجاج السميك . لا لانه لم يكن استاذ تربية ، بل لانه لا يريد أن يكون

كنجم سينمائي بزجاجات ذات اطار سميك ، ولانه يرى جيدا حتى بدون نظارتين . ان أبى يرى الى الحد الذى يتمكن فيه من رؤية وجهه فى المرأة التى تحت قميصى وفسوق قلبى .

لو وقفت الآن امام جارتنا ، والمرأة تحت قميصى ، لامكنها أن ترى قلبى يندفع فى صدرى فيدفع المرأة ، وان المرأة تدفع القميص ، ولقالت لى : ان المرأة لها . امرأة جارتنا تحمل شيئا من عطرها . ولكنها لا تحمل ثيابا داخلية مثلها . امرأة جارتنا بيضاء كثيابها الداخلية ، وكحريز الدودات التى أرببها عندما يكون رقيقا . الغلاف الجلدى الاسود كفستان جارتنا القصير الذى يضم ثيابها الداخلية البيضاء وجسدها الاقل بياضا ، والغلاف يضم مرآتها البيضاء الشديدة البياض . فى امرأة جارتنا بقية من عطرها ، وفى جسدها كثير من بياض مرآتها ، وعلى وجهها الاصبغة ، وعلى مرآتها لعبة بيضاء تماما كنسيج دوداتى بل هى اشد بياضا حتى من ثياب جارتنا الداخلية .

لو وقفت الآن امام جارتنا بالمرأة البيضاء فى غلافها الجلدى الاسود تحت القميص وفوق قلبى لا حسست بها . لمت يدها لتأخذها لانها مرآتها . لو مدت يدها لتأخذها لا لتصق بعض الاصبغة بقميصى ، ولبقيت رائحة أصبغتها على قميصى ، ولاخذت المرأة ولكن قلبى سيق حتى يدونها . ولن يؤلمنى ولو دق بشدة .

لو وقفت الآن امام جارتنا لما أمكنه أن يرى المرأة التى تحت قميصى ، لانه يحمل نظارتين من الزجاج الاسود السميك لكى لا يرى بهما الحرام . ولانه لا يعرف أن المرأة لجارتنا اذ هو لا يعرف حتى ثيابها الداخلية . الحرام فوق قلبى وتحت قميصى . الحرام شيء يعرفه أساتذة التربية .

ويقولون : ان الله يعاقب عليه فيتحا شونه بنظرات ذات زجاج اسود سميك

أبى يقول : ان الحرام يؤنب عليه الضمير . أبى لا يعرف الحرام ، والا لتحاشاه بنظارتين من الزجاج الاسود السميك . المرأة التى على قلبى حرام . وضميرى يشعر أنها حرام . ولكن اى استاذ تربية لن يعلم بذلك ، لان نظاراتهم لا تريهم الحرام . قلبى يندفع نحو المرأة ، لان قلبى يريد الحرام . الحرام شيء جميل فى بدايته . هل كل القلوب تندفع نحو الحرام ؟ لو كان

كان قلب أبي لما اندفع نحوها ، لان أبي لا بد انه مل من الحرام كما مل من أمي فلم يعد يقول لها « أنت جميلة » لو رأيت ثياب جارتنا الداخلية لما دق قلبي كما يدق الآن عندما اشعر بمرآتها قرب قلبي . ليست مرآة جارتنا فقط هي التي على قلبي بل البعض من اشياؤها . اشياء جارتنا محرمة مثلها لكن اشياء جارتنا جميلة ، لانها بدون مساحيق . لو علم أبي أن مرآة جارتنا عندي لآخذها مني ولذهب بها اليها ليقول لها : « انها مرآتها ، وانها جميلة » مثلها كما قال ذلك عندما كانت أمي غائبة ، وعندما كانت ثياب جارتنا الجالسة في الصالون تبدو من تحت فستانها القصير ، وعندما كنت انظر اليهما من وراء الباب ، وعندما كان قلبي يدق كمن يطرق بابا . لو علمت أمي أن مرآة جارتنا هنا قرب قلبي لقاتلت لي « اذهب بها اليها » ولو ذهبت بها اليها لؤصصت يدها على رقبتي ولتركت قليلا من المساحيق عليها ، وعندئذ فسأشعر بالتقرؤ . وقد أهرب قبل أن أؤكد من اني وضعت المرأة في يدها . جارتنا ستكون حزينة ، لانها فقدت مرآتها بفلافها الجلدي الاسود . أنا مسرور ، لان جارتنا فقدت مرآتها أنا لا أحب جارتنا لانها كالمرآة التي غطتها الاوساخ المتراكمة . أنا أريد مرآة نظيفة لماعة بدون ضباب أو غبار كمرآة جارتنا . أنا أحب أمي لانها كمرآة جارتنا ، ليس لامى مرآة نظيفة مثل هذه ، لان أمي لا تحب المرايا اذ تشعر أنها حزينة أمام المرأة . أمي ستزداد حزنا عندما تعلم أن أبي ينظر الى الثياب الداخلية لجارتنا . أبي لا ينظر الى الثياب الداخلية لأمي ، لانها لا تلبس الفساتين القصيرة ، ولا تضع ساقا على ساق . أبي يرى جيدا ويرى حتى ثياب أمي الداخلية من خلال فستانها لان فستانها ليس أسود كفستان جارتنا . أبي يرى من خلال جميع الالوان ما عدا الاسود ، لانه ليس قطا . والققط فقط ترى من خلال السواد .

كلما صعدت درجة زاد قلبي خفقة . كلما زاد قلبي خفقة اندفعت المرأة واندفع معها القميص . عندما اصل الى غرفتي ستكون المرأة قد دفعت القميص الى مستوى وجهي وسيكون قلبي قد اندفع خلال صدرى حتى يخرج صدرى كبطن كلبتنا عندما كانت حبلى . عندما كانت كلبتنا القصيرة حبلى كانت أنداؤها منتفخة ، وكان بطنها منتفخا ، وكان انتفاخ بطنها قد دفعها الى أرجلها . فأصبحت كلبتنا تمشى على أرجلها واندائها .

عندما أكون أمام حجرتي سيكون لي انتفاخ فى صدرى من جراء دفع قلبي للمرأة . وسيندفع قلبي خلال صدرى حتى يخرج منه ويصبح لي وجه فى

صدرى فى بروز وجهى الذى فى رأسى • وجهى الذى فى صدرى سيكون بلا
أنف وبلا عينين وبلا شفيتين • سيكون وجهها بمرآة • المرأة التى ستكون وجهى
الجديد هى مرآة جارتنا ورأسى التى سيركب اليها وجهى الثانى هو قلبى خارج
صدرى • على وجهى الثانى سترسم وجوه الآخرين وستكون لى عدة وجوه :
وجوه بأسنان نخرة ، وجوه بأسنان جميلة ، وجوه بتجاعيد متراكمة ، وجوه
بجباه عريضة • • حتى أصباغ جارتنا سترتسم على وجهى الذى فى صدرى
وسيصبح كمرآة تقشر طلاؤها لان مساحيق وجه جارتنا قد تقشرت لكثرة
تراكمها • وجهى الذى فى رأسى سيكون أجمل من وجهى الذى فى صدرى
عندما تنظر فيه جارتنا • أو عندما ينظر فيه زوجها •

عندما ينظر أبى فى وجهى الذى فى صدرى ستخترق نظراته مرآة جارتنا
وستمر الى قلبى لان أبى يرى جيدا ، وسيرى ، أبى أن ذلك الوجه لم يكن الا
مرآة • وسيرى أن قلبى الذى اندفع خارج صدرى هو الذى كون لى ذلك الوجه
فى بروز وجهى الذى فى رأسى وسيعرف أبى أن قلبى كان يدق بسرعة
مما جعله يخرج من صدرى • لقد قال لى أبى • لا تخر كثيرا لكى لا يدق قلبك
فيؤلمك • • لان العالبيين قال لآبى : • اتنى مريض بضعف القلب • وقال لى أبى
• • لا تصعد المدرج بسرعة لان ذلك يجعل قلبك يدق وعندما يدق قلبك بشدة
فانه سيؤلمك • • • • • إذا قلبى لم يؤلمنى من قبل عندما أسرعت • يجب أن أسرع
فى صعودى المدرج الى حجرتى • وقت العشاء قد قرب • ولو رانى أبى أصد
المدرج بسرعة لنادانى ، ولسألتنى عن سبب صعودى الآن الى غرفتى فى حين أن
وقت العشاء قد قرب • لو لم يرئى أبى الآن صاعدا لما عرف أن قلبى قد دق
بسرعة • يجب أن تبقى المرأة قريبة من قلبى رغم أنها تجعله يدق بسرعة الا انها
بيضاء وأشد بياضا من ثياب جارتنا الداخلية ، أشد بياضا من البعض مما تضم
تلك الثياب الداخلية • كم أتمنى الآن لو كنت بثياب بيضاء • عندما كنت رضيعا
كانت امى تضمنى فى ثياب بيضاء كبياض ثياب جارتنا الداخلية • صورتنى
وأنا رضيع تبرز أسنانتى الاولى فى بياض مرآة جارتنا • لقد كنت أضحك
عندما كنت رضيعا • كل الرضع يضحكون ، لانهم فى ثياب بيضاء ، ولأن
قلوبهم لا تؤلمهم •

سألت أبى عن الضمير ، فقال هو القلب • وقلبي يؤلمنى لانى ارتكبت
حراما • لو كنت رضيعا لما ألمنى قلبى ، لانى سأضحك فقط ولن ارتكبت

الحرام • لو كنت رضيعا لما صدق أبى الطبيب الذى يقول انى مريض بضعف القلب • مرآة جارتنا قرب قلبى تشعرنى أن قلبى قد لف فى ثياب بيضاء سيكون قلبى رضيعا ضاحكا عندما ألصق اليه المرآة البيضاء بلا غلاف أسود عندما أكون فى حجرتى •

يبدو أن المدرج لن ينتهى رغم أن المرآة قد بلغت فى اندفاعها مستوى وجهى • قلبى يؤلمنى ، لا لانه يدق بسرعة بل لاني تذكرت أن أمى كانت تبكى البارحة • عندما أرى أمى تبكى يؤلمنى قلبى • لابد أن الطبيب لا يعلم أن بكاء أمى هو الذى جعل قلبى ضعيفا • لو علم أبى بذلك لامر أمى بالتوقف عن البكاء حتى لا يؤلمنى قلبى • لكن أبى لا يعلم ذلك بل هو يتخاصم مع أمى عندما أكون فى الحديقة •

ذات يوم وجدت أمى تبكى • وسألتها عن سبب بكائها ، فقالت : ان الدنيا ليس فيها ما يسر • وسألت أبى عن سبب بكاء أمى فقال : انها ترى الدنيا كلها سوداء • أمى لا تعلم أن مرآة جارتنا تسرنى ، وان قول أبى لجارتنا « أنت جميلة » يسرها • أمى مسكينة لانها ترى الدنيا كلها سوداء • لو وضعت مرآة كبيرة على طول حدار حجرتنا لرأت الحائط أبيض • ولو نظرت فى المرآة لعلمت أن هناك شيئا فى الدنيا ليس سودا • خطأ أمى أنها لا تنظر فى أية مرآة • وخطأ أبى أنه ينظر جيدا وفى كل المرايا حتى المقشرة الطلاء منها ، وفى كل الاشياء البيضاء التى تبدو كالمرايا ، وحتى فى ثياب جارتنا الداخلية • لابد أن يكون أبى قد نظر يوما فى مرآة جارتنا التى قرب قلبى ، لأن أبى يريد كل شيء لذلك فهو لا يحمل نظارتين •

خطأ جارتنا أنه لا يريد أن يرى كل الاشياء بل تلك التى تبدو له ليست حراما ، لذلك فهو يرى الاشياء من خلال زجاج معين ليس كزجاج مرآة زوجته أبيض صافيا بل زجاجا أسود سميك لا يريه الا ظلال الاشياء ولا يريه الاشياء البيضاء • خطأ جارتنا أنها لا تنظر خلال جسدها بل تترك الآخرين ينظرون خلاله • جارتنا ذكية لانها لا تترك كل شيء من جسدها ينظر خلاله • اما خطئى أنا فهو صعودى الآن الى حجرتى فى الوقت الذى يمكن أن تفقدنى فيه أمى للعشاء •

رغم ظلام الحجرة فأنا أستطيع أن أميز فى صدرى انتفاخا كانتفاخ بطن

كلبتنا عندما كانت حبيلى • اما ان يكون قلبى قد توقف عن الحفق او انى لم
أعد أسمع دقاته • لابد ان يكون صوت دقات قلبى قد تلاشى بعد ان خرج
من صدرى •

رغم انى لست قطا حتى أرى فى الظلام الا ان مرآة جارتنا تبدو تحت
القميص • قميصى يضىء فوق المرأة ، وقلبى يبدو خلالها ، والمرآة على قلبى ،
وقلبى فى مستوى وجهى •

الحجرة مظلمة والمرآة لامعة وقلبى لا يؤلنى ، لانه لا يدق • لن أتمنى أن
أكون رضيعا • سابقى بقلب لا يدق حتى وان كان خارج صدرى • سيعلم أستاذ
التربية أن الحرام فى نظراته التى تخترق زجاج نظراتيه السميكة دون أن يظن
لها أحد • لو صعدت أرى الآن لظننتنى نائما ، ولأمكنها رؤية وجهها فى مرآة
جارتنا • ان المرأة تحمل الكثير من صاحبيتها • لم أكن أظن أن من المرايا ما
يشع فى الظلام • لعله قلبى الذى يشع وليست المرأة • لعل دقات قلبى قد
تحولت الى اشعاع تسرب خلال المرأة • لعل وجهى الذى فى رأسى قد تغير
لما وجد وجهى الذى فى صدرى • القرنة مظلمة وأنى لم تات بعد • لابد أن
وقت العشاء لم يعن • يجب أن أرى وجهى الذى فى رأسى من خلال وجهى
الذى فى صدرى • يجب أن أرى وجهى من خلال مرآة جارتنا •

مرآة جارتنا لا تعكس وجهى ••• لابد أن أكون قد فقدت وجهى ••• ان
صفحة المرأة لامعة •• وحدقت جيدا فى المرأة • وتمنيت لو كنت أرى مثل
أبى لا تمكن من الرؤية جيدا • لاحظت ! رغم ظلام الحجرة ، ورغم انى لست قطا
حتى أرى فى الظلام - لاحظت بعد أن مسحت المرأة وجه أبى بنظراته الحادة
وغليونه يرسل حلقات الدخان على فترات ووراء وجه أبى كان وجه أوى وكان
حزينا كما اعتدته من قبل ••• آه لو تمكنت من رؤية وجهى •• ولكنه لم
يرتسم حتى فى خيالى • لقد نسيت شكله • ما أزال أتذكر أنه كان لى وجه
بغم وأنف وعينين وشفتين • ولكنى لا أستطيع أن أميز بينه وبين أى وجه
آخر •

ولست أدري ما الذى جعل وجه جارتنا يظهر بظلاله المقشر بين وجهى أبى
وأوى • ومن وراء كل ذلك ارتسم وجه جارتنا وتمكنت من رؤية عينيه من

وراء زجاج نظارتيه السميكتين . وداخلني الشك في الوجوه الاربعة ، لعل أحدهما هو وجهي دون أن أعرفه . ولكنها وجوه أشخاص أعرفهم أكثر من معرفتي لنفسى . لعل وجهي قد انطبع على أحد تلك الوجوه . ؟

وجاءني صوت جارنا ، صوت أستاذ تربية وليس صوت انسان يتصبب العرق على وجنتيه لانه أخطأ سيقارته « . حرام ! . » وشعرت بالمرأة ترقص بين أصابعى . . ورقصت معها وجوه الآخرين : أى وجوه أبى وأمى وجارتنا ، وقد يكون وجهي معها . وبقي وجه جارنا يغرس نظراته من خلال نظارتيه ذات الزجاج الاسود السميك . وعاد صوته صوت أستاذ التربية « حرام . . ملك الغير . . » وارتعدت فرائصى ، وارتعشت أصابعى فى عصبية . وشعرت بانفجار فى أعماقي ، لكنه لم يؤلنى بقدر ما أُلنى صوت أستاذ التربية . من قال له : انى ارتكبت الحرام . . لا بد أن يكون قد نزع نظارتيه حتى تمكن من رؤية الحرام . ان جارنا يكذب . لو كان حراما لأُلنى قلبى . ومرة أخرى دوى صوته فى حدة . « قلت لك انها حرام . . » وتغامز وجه أبى مع وجه جارتنا فى المرأة . وعلمت أنهما يستخران منى . ولم يؤلنى ذلك . وانما أُلنى رؤية المرأة تستتر على الارض . ولم أحس بالالام الا فى أنفى الذى التصق بأرضية الغرفة . وشعرت أن أنفى قد تحول الى مكان المرأة . وأحسست بالمرأة تنجح وتلتصق لتفصل أنفى الذى فوق قلبى عن الارض .

كان أنفى يدفع المرأة ، والمرأة تدفع الارض ، والارض ترد المرأة ، والمرأة ترد أنفى ، وأنفى يدفع قلبى ، وقلبى ، وقلبى يغوص فى صدرى . وخرج أبى وجارتنا من المرأة . وبلغنى صوت أبى يكلمها « . أنت جميلة حتى بعد أن فقدت مراءتكَ . . سأشتري لك مرآة ترين فيها وجهينا معا . . سأصنع من ثيابك الداخلية مرآة أنظر فيها الى صورتك وأعرضها للشمس فتحرق وجوه الآخرين »

وجاءني صوت جارتنا . . .

« لا بد أنه لم يكن ينوى كسرها . . لست إدري كيف سقطت منى فى حديقتهما عندما نهضت مسرعة ، عندما سمعت صوت زوجي يدخل المنزل . . لا بد أن تكون قد سقطت منى عندما اجتزت السياج المثقوب من حديقتهما الى منزلنا . . لقد تركتك كيف لم ترها عندما سقطت ؟ لا بد أن يكون قد وجدها

هناك • لقد رأيته يلعب في ذلك المكان عندما وقفت بالشرقة وكنت أنت تدخن غليونك • • •

وابتعد أبى • وابتعدت جارتنا معه • ومات كلاهما فى تخلفت مستمر الى أن انطلق قلبي يدق من جديد • : أجل انى أسمعه عاديا كما كان من قبل • وشعرت بأمى جائية عند رأسى • لقد انطلق قلبي لما خرجت هى من المرأة • كانت أمى تبكى • وشعرت بدموعها تقشر طلاء المرأة التى تكونت من جديد بعد أن غادرتها الوجوه الثلاثة • أما وجه جارنا فلم يكن فى المرأة • لقد كان بعيدا وراءها فتبخر عندما سقطت المرأة من يدى •

كانت المرأة الجديدة تحت أنفى الذى فى صدرى • كنت أريد أن أقول لأمى : ان المرأة التى تكسرت هى مرآة جارتنا التى رأيت خلالها وجوه الآخرين، وان المرأة التى هى الآن تحت أنفى لا يمكن أن أرى فيها الا وجهها واحدا فقط هو وجهى •

لقد كانت صورة وجهى الذى تكون فى صدرى كصورة أى وجه غريب ، وجه بلا فم • وكنت أحلق ولكنى لم أعرفه • وجه كورقة توت قضمتهما الدودات وكمشتهما الحرارة • وكانت دموع أمى المتساقطة على المرأة تزيد هذا الوجه الجديد تشويها • ومن خلال دموعها سمعت صوتها • • • « لو نظر فى دموعى لما احتاج الى أية مرآة • • انه يرى جيدا ويستطيع أن يرى حتى من خلال الدموع لكنه لا يريد أن يرى صورتي وصورتك معه فى مرآة واحدة لذلك أحببت المرايا من حياتى • • كان يريد أن يرى صورته ، وصورتها معا ولو فى الماء العكر • • »

وشعرت أن أمى حزينة • وأنه يجب أن أحزن من أجلها • وعاد أنفى الذى فى صدرى يؤلمنى ، لان قلبي الذى كان يدق كان يؤلمنى أيضا • دموع أمى التى على المرأة كانت حارة تحرق أنفى • • وبكيت لا لان أنفى تحرقه الدموع ، بل لان أمى كانت تبكى • بكيت بعينين كائنا فى موضع قلبي • ولعله قلبي الذى كان يبكى • بكيت رغم أننى استطعت أن أرى بوجه فى موضع قلبي • لعل بكيت لاناكده من ذلك الوجه •

وحاولت أن أقول لأمى : انى صنعت لها وجهاً فى صدرى ترى خلاله

صورتها • وانها لن تكون فى حاجة الى مرآة بعد اليوم •• وانى ساصنع لها
مرآة من حرير الدودات التى أربيها ، ولن تكون فى حاجة الى دموعها لكى
تصنع منها مرآة •

كنت أريد أن أقول أشياء كثيرة : كون مرآة جارتنا عندما تكسرت كانت
كوجه صاحبته المتقشر • وان أبى كالفراشة التى تسحرها الأشياء البيضاء ••

ولكن أمى تبكى • وكانت تنظر الى بعيد حيث ذهب أبى مع جارتنا •
وتذكرت أن أمى فى أشد الحاجة الى أن يقال لها •• « أنت جميلة »

وبحثت عن الكلمات على شفتى • ولكنى لم أجد لى شفتين • وتذكرت أن
وجهى الذى فى صدرى بلا قم •

احمد ممو





بقلم : الطاهر عمران

- أنستك الفناجين المكسورة موعد الزيارة يا دلندة ؟ أتبيكين !
- هدية أمي في حفل زواجنا يا نعيم ؟ ماذا بقي لي من خيوط الذكريات .
كلها تقطعت . آخرها هذه الفناجين المكسورة . أو ليست قطع البلور المتناثرة
على الارض صورة لدموعي المتناثرة على خدي .
- لكن ، يا دلندة . الحادم عثرت بحافة الزريبة . وهي متجهة نحو أريكتك
لتضع طبق القهوة بين يديك .
رفعت دلندة جفونها المخضبة بالدموع وصاحت :
- الحادم الملعونة ! سأحطم قلبها كما حطمت الفناجين .
- هدئي من غضبك ، يا دلندة . ستكنس الحادم قطع البلور ، وسامسح
دموعك بمندبلي الرطب .
- الفناجين تعوض بسهولة . أما ابتسامة الانسان ، ابتسامتك ، فلن
تعوض . أما قلب الحما ...
لطمت دلندة زوجها بنظرة حادة ، ردت كلماته الى حلقه حتى كاد يفص .
دست وجهها بين كفيها وغمغمت ، ، شماتة الرجال لحواتهم دود في الخشب ،
حتى الذكريات يريد أن يدوسها ، ينخرها ..
خطف نعيم جريدة يومية نشر صفحاتها الكبيرة أمام وجهه :
- جعلت من الجريدة ستارا بيني وبينك لتضحك وتسخر مني خلصة ؟
- لا يا دلندة . نكتة عجيبة في الصحيفة . والله عجيبة . هاك اقرئي
استمعني » ...

•• جيبى • مجرم الى جبل المشقة ، وكان يعمل حلوانى متجول • سئل عم
يرغب فى هذه اللحظات القاسية • تنفس المجرم ملء رئتيه وقال :
« ••• هاتوا طبق الحلوى لاضعه على رأسى وأمشى به بضع خطوات ، ثم
أنادى مرة واحدة ••• هاى الحلوى يا لولاد ••• »
حركت دلندة جفونها وحواجبها المصبوغة ، وقالت ساخرة :
- هذيان من اثر الصدمة •

- لا يا عزيزتى • طعم براءة الاطفال كطعم الحلوى ؟ ألم تذوقى طعم البراءة •
سيتحول جنيثك طفلا بعد شهرين وتذوقين •••
انسدلت يداها فى حركة عفوية وتحسست بطنها يمينا ويسارا • انتبهت
لحركة يديها فرفعت بصرها ، وعلى فمها ابتسامة خفيفة لا تكاد تبين ، قالت :
- زيارتنا للصديقين لطفى وهالة ، لاننا لا نملك تلفزة • لا تلفزة ولا
عربة ••• هذا شئ ، لا يطاق ، يا نعيم •
- ها أنت تذكرين الصداقة على لسانك • ؟ هل تذوقت طعم الصداقة ؟
انها كطعم البراءة •

- ما دمت مسترسلا فى هذيانك وكلامك الفارغ ، فانى ذاهبة !
التحق بى لا تفوت على برنامج التلفزة •
لطمت الارض بكعبها وانصرفت • حملت نعيم فى القراغ • تسنم همس
أحاسيسه • الحادم لا تساوى فنجانا • وأنا ! لعل أساوى عندها ستار نافذة •
انزلق بصره نحو اطار مذهب معلق على الجدار • قرأ السطور المرسومة
وسطه •

« أحرزت دلندة بسباس على الاجازة فى الفلسفة بملاحظة حسن جدا • »
أغلق الباب والتحق بها •
- السلام عليكم •
- ادخل بسرعة ، يا نعيم ، لقد بدأ البرنامج •

ضمت القاعة المظلمة الاصدقاء الاربعة ، حدثت عيونهم فى الشاشة الصغيرة ،
بينما الاصابع والشفاه تعبت بسقاير طويلة ، موسيقى تصويرية تمهد
للعرض • أشجار عظيمة متشابكة تهزها العاصفة عنيفا من تحتها وديان
تزمجر • طلقات مزعجة • صرخ نعيم :

- رؤوس تنطير فتتساقط بددا على الارض كمواعين تافهة •

غلقلت دلندة بصرها فى زوجها :

- أذكركنى بالفناجين ! هدية أمى ! مواعين تأفهة ! ..

برزت المذبة على الشاشة • تكلمت باناقة • مائة وأربعون قتيلا من
الفيتناميين • خمسة وسبعون من الأمريكان • ربتت هالة على كتف صديقتها
وهى تشير الى المذبة بظفرها الطويل :

- تسريحة شعر مذهشة ! انظرى فتحة الصدر فى ثوبها الانيق • انجذبت
الابصار الى الشاشة : فضاء رحب يغمره ضباب موحش ، نقاط سود
دقيقة ساكنة كذباب ميت تتراعى حول الافق البعيدة ، تبدد الضباب ،
وضحت المشاهد على الشاشة ، تضخمت :

خيام لا يحصيها العدد تناثرت بينها نخيلات تحيلات • نسوة يحملن الجرار
والاطفال الرضع وراء ظهورهن • أقدامهن الحافية فى الرمال • يمسحن عرق
وجوههن بأطراف الثياب المهلهلة •

دخل الطفل أنيس القاعة •لقى بحفظته وراء الباب ، تكور كالارنب على
الكرسى ورشق عينيه فى الشاشة ، صاح أنيس :

ARCHIVE
http://Archieb.com

- أمى • بلحق اليهود غلبو العرب ؟
صرخت هالة فى وجه ولدها :
- تفرج واسكت •

لاحظت على الشاشة امرأتان تتشاجران ، بينهما طفل يحبو ينحدر قميصه
الى منتصف ظهره • تنأب لطفى ، وقال :
- صبور مرعبة •

ارتسمت المذبة على الشاشة • تحركت شفتاها كجناحي فراشة :

« هذه خيام اللاجئين • عربات الصليب الاحمر الاممى تجر باستمرار
الجموع البشرية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من نهر الاردن • »
تلاشت صور العالم من الشاشة • اشارت دلندة الى المذبة وهمست الى
هالة :

- خاتمةا يلعب كالنجم فى اصبعها المدود على الورقة ، مسكين زوجى لا
يحب الذهب • لا يدرك سر الجمال لدى المرأة •

ارتعب المتفرجون من ضجة مدوية فى الشارع ، اغلقوا نافذة العالم ،
بارحوا القاعة ، فتحوا نوافذ الشارع وراحوا يستطلعون . صاح رجل فى
الزقاق الطويل الضيق :

« سكير الحومة يتخبط فى دمائه . ألقت به زوجته من الطابق الثانى »
صرخت عجوز تهزل وتلف أطراف لحافها :
« مسكينة . ! فرودة زوجة الهادى العظام ، تخلصت بأعجوبة من سكين
زوجها السكران . . »

ردد المزدحمون الملتفون حول الجثة : « القبر ولا عيشة الهم »
قال نعيم :

— وهل انقطعت العرايب من الاحياء ففى كل حى عريبد ؟
تلقت اليه لطفى قائلاً :

— أو درويش . . . صديق الملاح فى الخلفاوين . الحاج عتوقة فى الحفصية .
قهقه أنيس ، وهو يطل من النافذة :
— وحم جريوات فى الحربة .

حملت الجثة الى التشريح ، حمل اعوان الشرطة زوجة القتيل الى المخفر .
استأنف الزقاق الطويل حركته القاذبة ، ولجج الاطفال يتقاذزون هنا وهناك ،
يتصايحون ويتقاذفون بقشور البطيخ ، وبقدائف الشتم والكلمات الوقحة مع
الباعة المتجولين والمشتريين ، أطفال الكتاب يصرخون صراخا مزعجا ملتويا :

« أرايت الذى يكذب بالدين . »

أغلق الاصدقاء النوافذ المطلة على الزقاق على الكوة المطلة على
العالم . حدقوا فيها . ما أروع هذا المكتب وما أغرب أثاثه ، مصباح فى شكل
رأس امرأة مصلوب . منضدة كبيرة مثلثة الشكل . كراسى من الجلد أفرطت
ممتلكاتها فى الطول . على الجدار الايسر صورة لطفل تعبت يدها البيضتان
بمسدس أسود ، وعلى الجدار الايمن صورة ابراهيم لينكولن . . . لا . . . صورة
هامرشولد . تبسمت هالة ! لا ذا ولا هذا . صورة .

دخل المكتب رجل عملاق بزي عسكرى . ارتدى بعنف على المقعد وأمسك
بسماعة الهاتف ، برز وجه امرأة قالت :

« القائد العام للسلاح الجوى يتلقى مكالمة من الجنرال يخبره بأن أربعة آلاف جندى فى طريقهم الجوى الى الجبهة ... »

مسح القائد عرق جبهته ، وهو يضع السماعة • تلفت بكل جسده يمنة يسرة • حمله فى أرجاء المكتب بعينين ملتفتين ، ضرب بجمع يده على المنضدة ، الليلة ينتزع الكمين المحكم ألفين من الاقزام العفاريت • أشعل سيفارة وجذب منها أنفاسا عميقة متتالية • زفرها بقوة من فمه الجاف ومنخرية الكبيرين •

لمس نعيم ظهر صديقه :

– انظر جيدا ، يا لطفى ... إناء غريب مزخرف يجره القائد اليه •

– جمجمة ! جمجمة انسان !

– ماذا يعنى وجودها فى هذا المكان ، يا نعيم

– لعلها تذكر القائد معنى الموت •

– حدسك موفق • لن يكون الا هذا ، يا نعيم •

جذب القائد نفسا آخر ، ثم نفث رماد سيقارته وسط الجمجمة •

صرخوا جميعا « منفضة سقاير ... » ودهوا فى حسس اليم • يحفظون رماد سقايرهم فى الجمامج (البشرية) • تبديل مشهد الشاشة فجأة : موسيقى مرعبة • ساحة كبيرة تبعثرت فيها جثث القتلى ، تألق وجه أنيق على مرآة التلفزة وقال فى مرارة اصطناعية يجيدها بمهارة :

– تحول كوكبنا الارضى قبرا مخيفا •

قال نعيم متهمكا :

– بل قولى : تحول كوكبنا الارضى منفضة سقاير كبيرة مرست أعقابها

أصابع القواد والجنرالات •

أخذ نعيم يمسح عرقه بمنديله ويقول :

– أرجوكم • افتحوا النوافذ • لقد خنقنا الحرارة ورائحة الدخان •

تنفسوا جميعا ملء صدورهم ! ما أجمل ضوء الله ! ما ألد الشمس !

قالت هالة :

– لو دخلت الخادم لتأخذ الطبق ووجدتنا بين الدخان والظلمة والحرارة

حسبت القاعة بمن فيها منفضة سقاير ، وألقت بالكل فى صندوق القمامة •

ماتت دلندة كالقطعة الغاضبة :

– كل الخدم ملعين ! قلوبهم جامدة لا يؤلمها تحطيم المواعين •

قالت هالة وهي تفتح التلفزة :

- المشهد التالى أجمل حصة فى برنامج اليوم .
ظهرت حسناء الشاشة ضاحكة الوجه ، عرض أزياء صيفية من عواصم
الدنيا . هذه حسناء باريس ، يا سيدتى . ثوبها الوردى ترتعش أطرافه
الحمراء على منتصف السوق ، كثف عارية والآخر تشد برفق شريطا رقيقا
من الثوب ينزلن قليلا نحو الذراع ، سوار أزرق يطوق عضلة الساق اليسرى .
تحت الركبة قرط من الزجاج الأخضر فى شكل رجل مقلوب يتدلى متأرجحا
من أذنه اليمنى .

وقفت دلندة وصفتت :

- موضة مبدعة ... سأسبق بها جميع التونسيات . سافوز بفضيلة
السبق . سأنشرها بين الطبقة الراقية . يحيا التلفزيون .
قهقهت هالة :

- ويسقط جارك المخرف الذى حذر من شراء التلفزيون .
عوجت دلندة شففتها فخرجت منها كلمات ساخرة :
- المجتمع الذى يستعمل الآلة كمفتوح تحطيمه تلك الآلة . هكذا كان يقول
جارنا المسكين . جارنا الذى قرحت الكتب عينيه وقوس القلم ظهره .
- ومن يدريك لعله على حق . يا دلندة !
- مات عهد الكتاب والقلم ، يا نعيم . هذا عصر الشاشة . تلاشت صور
العالم . ابتلعتها الآلة .
ارتسمت على الضوء الأبيض كتابة سوداء .
- الحسب فسى خطرس .

لمع وجه المذبة « هذا الفصل العاشر من الرواية المتسلسلة (الحب فى خطر)
التي نالت اعجاب الجماهير فى العالم .. »

صدحت أنغام نحاسية حادة . ينتهى كل مقطع منها بدقة طنبور عنيقة ،
يتلاشى صداها شيئا فشيئا ثم يذوب . لمع برق ، نزل مطر غزير ، لاحت
امراة جالسة على الرصيف فوق ركبتها رضيع نحيل .

انشقت الارض بجانب المتسولة . برز انسان غريب : ملامح وجهه عابسة .
ذراعاه وقدماه تنتهى بمخالب حادة . راود الوحش المرأة . خطف الرضيع

الاصغر من حجرها وقبله • رده اليها ورقص رقصة مأجنة • أجهشت
المسكينى وقالت :

- أنا جائعة يا سيد ••• دى ؟ هل لديك خبز •• طعام أنا جا ••
نعم •••••

- وأنا جائع يا سيدتى ؟ هل عندك •••
غرر الوحش مخالفه فى جوف الرضيع فأخرج أمعاءه ولطم بها وجه أمه •
نبح صوت كئيب كآهة محتضر :
- هذه صورتك من الداخل ايها الانسان •

تحول الانسان الوحش شابا وسيما يرتب هندامه الرفيع ، ويمشط شعره
أمام مرآة مغارة كبيرة •
- المرأة لا تعكس صورة الوحش الكامن فى قلبك •

ارتعد الشاب وتلفت الى الجهات الاربع وقال : أصوات مخيفة • تبدل منظر
الشابشة • ظهر الشاب الوسيم وبجانبه فتاة تمروح عليهما أغصان شجرة ،
وتدغدغ آذانهما سقسقات طيور • يد الشاب اليمنى تتلمس خصر الفتاة •
ويده اليسرى تختلس النقود من كيسها الصغير • نظر الشاب الى وجه فتاته :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ما أجمل عينيك ، يا سلوى !
- متى نتزوج ، يا حبيبى •••
- هل يوجد فى الدنيا من يضاهينا سعادة ، يا سلوى ؟ !
- أنا متفقة مع أمى • لكن بابا ••
- لقد تأخرنا كثيرا •• الزمن يجرى • الى اللقاء يا سلوى •
اعترض طريقها شاب آخر ، التصقت به حتى تشبعت وجهه :
- هكذا تغيب عنى طويلا ، اقترضنى دينارا
- متى نلتقى ؟

لفت الدينار فى كفها وانصرفت ، تمتعت الى نفسها :
ماذا خسرت ؟ قبلة ، لمسة ، ضمه ، لقد ربحت دينارا ••
فتحت كيسها لتضع المبلغ المنهوب • عضت اصبعها وأدخلت نصف وجهها
فى الكيس آه
سقطت الدنانير الاربعة تحت شجرة الحب • كنت وقتها •• نعمة الله على ••

صدر صوت مجهول من أعماق بعيدة :

ـ لعنة الله عليك وعليه ..

فزعت .. تحسست صدرها ..

من أين صدر هذا الصوت ؟ انشطر صدرها بين ذراعيها فقفزت منه جردان
وطار ذباب .. سالت الدماء على ثوبها ، فصرخت كالمنجونة وتوغلت جريا في
شارع طويسل مهجور ..

كانت تجري وتتضائل حتى غدت نقطة سوداء .. ثم لا شيء .. بياض
على الشاشة ..

الطاهر عمران



لوا فترعنا !

بقلم : الانسة زهرة الجلاصي :

فى المقهى ضجيج .. فى رأسى ضجيج .. على الرصيف المبتل ضجيج ..
فى القهوة وقطع السكر تنسابق لندوب ضجيج .. خلت دموعى تنهال على
وجنتى بلا لون فى ضجيج .. فى عينيه فراغ .. فى كيانه ضجيج .. لو أقمت
حفلة مع الضجيج .. لو تناولت هذه الكأس وأصبت بها وجهه .. ستسيل
الدماء .. ستكسو ثيابه .. سيكسو المفهى ضجيج .. سترتفع يده ممسكة
بمنديله ، وسيداول تخفيف الدماء .. سائنفس أنا .. سالتقط حقيبة يدي
وأترك هذا المقهى الصاحب .. ستلتفت كل هذه الرؤوس .. ستنقب عن ذاتى
فى شعري .. فى شفتى .. فى أزار معطى .. فى ساقى .. فى حذائى
.. سيلاحقنى الضجيج لماذا حاول الفرار ؟ بهذه الحماقة سأساعد على
ضخامة الضجيج وألفت انتباه هذا المكان الصاحب الذى لا ينتبه ..

دخان سيقارته يضجرنى .. وتذوى الدقائق .. ويعاودنى فراغ عينيه ..
وأنامل على الكرسي .. تلاحقنى نظراته .. وأحس بحماقتى وبلاهته وكلانا
يحدث فى الآخر .. شعرت بحاجتى الى لفظ ثيابى .. شعري .. الطلاء الذى
بأظافرى .. الماء الذى على وجنتى بلا لون .. وكل ما يشدنى الى الضجيج ..
ثم الهروب الى حيث لا ضجيج .. الى قمة جبل ما حيث تنحدر الثلوج البيضاء
بلا ضجيج .. ويعاودنى ثقل الكرسي ينهينى الى الضجيج .. والى فراغ
عينيه يشدنى الى مرارة القهوة ، والى ثقل الحذاء يشدنى الى صخب المقهى ..
لا أدرك سوى أنى بقربه وتشغل رأسى فكرة الفرار .. حدثت فى فراغ
عينيه بحيرة .. وسألته فى سداجة :

– لماذا نحن نلتقى ؟ لماذا نقرر أن نلتقى ! !
– لانى أعلم أن هذا يعجبك ولا يشعرك بالوحدة ولأن ...
وقاطعته ، وقد احتدم فى رأسى الضجيج ، فخلت صوتى لا يصل اليه
فصحت لكى يسمع :
– لا نك منافق !!

لم يثر .. بل تحرك الضجيج فى عينيه .. فخلته يساعدى على الفرار من
المكان .. وقررت أن لا أتكلم .. وقرر هو أن يتكلم ..
– لماذا لانفتسرق ؟

وقعت كلماته بذهول وبلا ضجيج .. لعل كنت أنتظرها من زمان ، فغصت
أبحث فى فراغ عينيه عن شئ أضعته ، عن أسرار أضعتها بين يديه كالفبية
.. غصت أبحث عن مأساتى استردها لكى تحيا فى أعماقى .. ويصدمنى
الفراغ .. الخواء .. اللاشئ بفمر أحداقه ، فرددت فى ذهول ، وخلت صوتى
لا يصل اليه ..

– أحس بحاجة الى هذه الاجازة .. لانى أضعت عدة أشياء يتطلب العثور
عليها اجازة لا تنتهى ..

– اذن من منا سيترك المسهى قبل صاحبه ؟
– (.....)
– انك تصمتين .. هل يشدك المكان ؟ ..
– كلا .. المكان بحاجة الى أن يلفظنى قبلك ، لانه درى بأعصابى تصارع
الضجيج ..

لم أحس بالهزيمة ، وأنا انسحب .. لم أحس بالخيبة ، وأنا أودع نظراته
التي ستحوى أسراراً أخرى ، ومأسى أخرى ، وضجيجا وصخباً من نوع آخر
.. لكنى لا أعتقد أنه سيعثر على أسرار تعادل أسرارى .. كنت أحس بحنينى
الى اجازتى منه ومن الضجيج .. أقضيها بعيداً عنه وعن الضجيج .. كان
يملاء كيانى حنين الاجازة .. اجازة بدونه .. حدث طريف فى حياتى ..
أحس بتخليق غريب أبعدنى فترة ما عن الضجيج وعن فراغ عينيه .. وعانقت
نظراتى صخب الرصيف المبتل .. ومضت أقدامى تجلد الطريق .. وتصارع
الوحل ..

أحسست به يدركنى .. يقترب منى .. هذه المرة لم أحس الإبسماكة
معطفه .. ذراعه يهدكتفى .. والتفكير فى اجازتى يبعد عنه ..

— أحقا تريدین أن نفترق !

تأملته أكثر .. وخلت الضجيج يخفت حوالى .. وخلت الحاجز يقام بينى
ربین السیول التى تتسابق على الرصيف المبتل فى صخب .. وخلت فكرة
اجازتى تتلاشى لحین .. ولاحقت حنینا فى عينيه .. هذه المرة لم أحس
بسماكة معطفه .. تمنيت أن أندثر فأصبح قطعة منه .. وعادنى حنین
اجازتى لينتزعنى منه .. وجردت عيناه من أسطورتى الحمقاء التى رسمت
هناك .. واسترجعت كل شىء .. وبقي اللاشئ يسبح فى عينيه .. خواء
وفراغ وضجيج وصخب بلالون .. رددت فى اطمئنان ، ونظراتى لا تلاحق
عينيه خشية أن تسترد عيناه أسطورتى ، رددت فى اطمئنان :

— أنا بحاجة الى اجازتى التى لا تنتهى ..

وتلاشت يده تترك كفى ..

وابتلعه الطريق .. لم أحس بحاجة الى توديعه .. وهو يختفى .. كنت
أعدل المنديل فوق شعرى .. واضغط الخصلات الشاذة تحته .. وتهيول
أقدامى فى طيها الصاخب للارصفة المبتلة .. وماساتى نفسها بأعماقى ،
واجازتى تصارع الصخب فى رأسى .. أخذت انقب عن الاطمئنان فى الاحداق
فوجدت السداجة تكسو معظمها .. امرأة تنتظر سيارة اجرة ، وتنامسل
ساعتها بلا انقطاع .. لا شك انها تنتج شيئا .. والوقت يدركها فيسكن
الفرع والضجيج أحداقها بلا مبرر .. انها تنتج .. فهل تعتبر عظمة هذه
المرأة ، فانا لا أنتج شيئا .. أعيش على حساب الآخرين !! أنا نيتى تملى على
أنى أعظم منها .. ها هى ترمى فى سيارة اجرة .. ويختفى الضجيج وتبتسم
فى اطمئنان .. وتأمل الخاتم فى اصبعها علها تتذكر أنها امتلكت رجلا ..
مسكينة هى ! .. بوسعى أن أفتكه منها ببساطة ، وأجره خلفى على الارصفة
المبتلة .. ستملى عليها بساطتها أن تجرى خلفنا .. امرأة تنتحب .. تسب ..
تلعن والضجيج حولها فى صراع لاينتهى .. والزوج الابله يصم اذنيه معددا
لى عيوب زوجته التى لاينتهى .. هل ساكون سجدت انتصارا ؟ سيكسون

باستطاعتى صرف هذه العظيمة عن الانتاج ، فيملأ الضجيج أعصابها ، وتهمل
الانتاج ، ويبتلعها الصخب .. وتنتحب وتهول وتلعن .. وقتها ساقذفها
بالزوج الابله ..

لا شفقة عليها ، بل لان ما أنشده قد تحقق ، ولكى تدرك أن الخاتم زيف
أغراها به الرجل .. اختفت سيارة الاجرة . واكتشفت أنه ليس باستطاعتى
تغيير مجرى حياة هذه المرأة . كنت أفكر فى خطتى دون أن افكر انها تختفى .
وخلت بلاعتى تعادل بلاعتها . هذه السماء ملتفة بردائها الرمادى تذرف دموعا
متفرقة فى أوقات متفرقة .. اعتاد أن يكون بجانبى فى مسيرتنا عبر الأرضفة
.. اعتاد !! أنا أكره أن اعتاد شيئا .. اعتدت أن أشرب قهوة كل صباح ..
أن أقوم فى وقت معين .. أن ألقى بقميص النوم على حافة السرير .. أن ..
أن .. سأغير العادة فى حياتى .. لن أشرب قهوة فى الصباح . لن أقوم فى وقت
معين .. لن .. لن .. سأحطم العادة .. لن أراه بعد اليوم .. لن أسير فى
هذه الطريق .. لن اختلط مع سيولها وضجيجها المعهود .. اكتشفت
أن فى مسيرتى المجنونة عبثا .. وفى وجودى عبثا .. وفى ضجيج رأسى
عبثا .. تساءلت فى يوم ما لماذا التقيت ؟ ولماذا لم نلتق ؟ وتساءلت لماذا لم
نفترق ؟ ولم أتساءل الآن لماذا نفترق ؟ أحسست أن فى هذا انتصارا على
العادة .. العادة توحى بالرتابة .. ولكن لا توجد عادات محبة لدينا ؟

عاودنى حنين اجازتى . وعاد خيالى يرفرف حول الثلوج البيضاء تتساقط
فى صمت على قمة جبل ما ، وتساءلت هل سأمل اجازتى ؟ هل ستصبح عادة
رتيبة فى حياتى ؟ وأملها .. هل ستعذبنى وحدتى ؟

كل ما ادركه أنى بحاجة الى اجازة فى فترتى هذه .

زهرة الجلاصى

مافلت تيمر

بقلم : رضوان الكونى

الحر .. السهاد .. وانا أتقلب على سريرى ، أمضغ أحلامى ، ألك ذكرياتى ،
أجتريها .. هى العلك الذى ملاه ذهنى .. غرفتى الخضراء هامدة ، ميتة ..
كل شىء فيها مكسر : الضوء ، والنسيم ، وأفقاس الربيع البائد .. وسريرى
الهادى .. يحملنى ببرود كأنه قد ملنى .. أتقلب ، والنوم شارد عنى ، نافر ..
الحر يغزوينى ، يأكلنى .. بنز العرق من جبينى ، يتصبب من جسمى حبات
لرجة .. تتمرد ساقاى على الغطاء ، تقذفه رجلاى .. أمد يدى نحو مجلة كنت
أقرأها منذ حين وأكون منها مروجة .. ذراعى دب فيها الكلال .. تعبت ذراعى ،
وهنت ، بدأت تتوقف شيئا فشيئا ، وتنزل المجلة بجانبى .. تصطاد اذناى
بعض الاحاديث التى تجرح الظلام وتشق الغرفة ، غرفتى الخضراء .. باب
غرفتى شبه مفتوح ، غرفتى شبه مظلمة ، بعض خيوط من النور تجتاز حلبة
المتسامرين لتمدنى ببصيص منها يلتقى بأنوار أخرى آتية من الشوارع عبر
النافذة .. الانوار مصلوبة على الجدران الخضراء ، مكسرة ..

الضباب ، الحر ، والصمت المتقطع بقهقهات المتسامرين المفرقة ، وبأحاديثهم
المرحة ، وببعض جمجمات لمحركات السيارات التى تفع عجلاتها على الاسفلت ..
وأنا امتد على سريرى الهث ، أجرى وراء خيط أخشى أن تغلت منى أطرافه ..
كتلة لحمى المرمية على الفراش ضجرة ، قلقلة لا تروم الحر .. كنت متعبا عندما
رجعت الى المنزل عشية هذا اليوم ، وكنت مزمعا على النوم وعلى أن اصيب
من الراحة ما يكفينى ..

استقبلنى أبى فى استبشار ، فقد جئت فى الوقت المناسب .. كان ينتظرنى

على نار ، وانا فى نار ، المدينة حامية تشتعل ، انسحبت منها كزبد البحر المقذوف على الشاطئ لفظتى الشارع الى البيت ، امتلات خياشيمى فى بهوه بنسائم خفيفة داعبتنى ، وقادتنى الى الداخل حيث ابى الذى ينتظر قدومى على نار .. كنت أقدر أن أرفض أمر أى كان الا أبى ، فهو قليلا ما يأمرنى بقضاء حاجة .. ترددت فى وجوم خفى ، لم أصرح بشئ ..

انا مجهد .. جئت لانام رغم أن الوقت ما زال مبكرا .. لكننى قبلت أمر الوالد ، واستندرت على أعقابى .. أخذت أمشى فى الشارع ، أتفصح الانهج والازقة والمحال ، أتمعن فى الوجوه ، أتابع بحوية حركة مرور السيارات .. حقا أنا فى مدينة كبيرة تضج بالحركة ، لكأنى أكتشفت هذا لأول مرة .. مسكين هو ذلك الغريب عن هذه المدينة الضخمة ، لقد حدثنى اليوم بكل ما يدور فى خلده ، انه يأتى الى هنا للمرة الاولى .. كان فى القرية .. قضى طوال سنين عمره الماضية هناك ، فى القرية .. عاش وتفرغ وشب وبقي فيها الى اليوم ، لقد فارقها منذ أسبوع .. قال لى : انه لم يجد العاصمة على الصورة الستى كونها لها حسب ما يروى له عنها .. قلت : بالطبع ، الانسان دائما يتخيل المجهول حسب ما يراه عقله .. قال : انه كان يستلها غير هذه ، فهى فى خياله أجمل بكثير منها الآن .. ويستغرب من بعض ما شاهده فيها ، فالى جانب المباني العالية لاحظ أن هناك أنهارا قديمة ، بالية ، متهدمة ، مكتوبا على احد جدرانها بلون اسود ، وبخط غليظ معوج « متنوع البول » .. وقال لى : ومع هذا فهى عالم كبير ، كبير ، أكبر من القرية مائة مرة .. ويعجب كيف لا نضيع فى متاهاتها وكيف لا تصدمننا السيارات السريعة ، المتلاحقة ، حقا ، لماذا لا نضيع وسطها ؟ .. وهل أظننى أعرفها كما يتوقع القروى الغريب ؟ .. ما أنا سوى سائح متجول ، رجلأى تحذقان السير فى بعض السبل .. ذاكرتى لا تحتفظ الا ببعض رسوم لوجوه قليلة .. أسير فى الشوارع مغلقا على نفسى ، منطويا عليها .. أنا أسير بغرقتى ، أتنقل بها من مكان لآخر ، أنا دائما فى غرقتى جدرانها تطوقنى ، تحيط بى ، تسد على غبار الشوارع ، وانا بحاجة الى غبار الشوارع ، لكنها تمنعني من اقتحام منخري .. قليلا ما تسرب الى من خلال النافذة أو الباب اصوات الآخرين .. هذه ضحكات أفراد الاسرة الفرحين بقدم خالى بعد غيبة طويلة .. ومحركات السيارات لا تنام ، وحفيف انزلاق عجلاتها لا يكف .. انى مكدود ، أريد أن انام ، أناديك يا نوم ، تعال ..

سأتجرد من بعض ملابسى .. تبالك ايها القط .. الهر مواظب على قضاء نوبته .. يأتى كل ليلة ليقتض مضجعى ..

الظلام تشقه شرائط نور خابية ، والصمت يقطعه السمر ودوى المحركات .. ومواء القط اللعين ، يموء كصراخ طفل يموت .. ارتيمت على المقعد ، اندسست فيه ، كان وثيرا يرحب بالجالسين ، تكاد الحافلة تكون خالية .. جلست على المقعد المجانب للسائق .. بقايا حرارة الشمس المائلة الى الغروب تخترق الزجاج ، وتستأثر بجانب كبير من الحافلة ، تسطع الجباه ، العرق يسيل على وجهى ورقبتى .. مددت مندى فتحت ربطة عنقى ، طرحت المندى بين ظاهر رقبتى وقميصى الابيض الجميل .. رفعت رأسى وقذفت نظرة بلهاء ، لا تثبت على شيء .. نظرت فى الفراغ : فراغ الحافلة ، فراغ الانهج عبر زجاج السيارة الكهربائية .. لكنها هى ابت الا ان تجذبنى اليها .. عدت اليها .. كانت تجلس وراء السائق .. ابتسمت .. قلت « انها تتم ابتسامه او انها تذكرت شيئا يضحكها » تركنها .. لكننى التقيت بها ، كانت الحافلة دائبة فى السير ، ابتسمت لى ابتسامه كبيرة ازعجتنى بها .. ليس هناك شيء يثير الابتسام ، لاعلى الزجاج الذى ورائى ولاعلى الحيطان .. وزادت فى الضحك الصامت وهى دائما تنظر الى .. هناك ما يضحكها فى .. انى ارتدى أفخر ما أملك .. حلتى السوداء المخططة بالابيض ، جذائى الجديد ، ورأسى المحلوقة .. وجهت اليها نظرى معاتبا ، أجابتنى بحركة متسقة ، شاملة ، اتحدث فيها جميع تعابير جسدها .. : ضحكت عيناها ، برقتا .. آبتسمت شفتاها وانفجرتا عن أسنان بيضاء ، متفرقة ، ثم ارتعشت أجزاء جسمها الباقية فى شمول يفصح ميلها الكلى نحوى .. لكن من يجزم أن هذا هو ما تقصده .. أسمى ، أنا لا أحسن هذه اللغة .. أجابت يدها : انظر هاتين الساقين الحمراءين .. وحسرت عنهما اكثر .. فهمت ...

- « اتريدىنى حقا »

- « نعم »

- « لكننى لا اريدك »

مفاصل مرتخية ، وهيكل غائر فى أعماق المقعد كما ترين .. منذ حين كنت اذرع المدينة ، اجوبها شارعاً ، شارعاً .. كان معى الشاب القروى .. تربطنى به قرابة بعيدة ، كان على ان اجول معه وأريه مالم ير .. بدأنا تجوا لنا

منذ الصباح حتى آخر العشي .. كانت هناك المقامى ، والحدائق ، والمغازات ،
والمحال التجارية ، وغيرها .. أكثر ما يوجد زرناء .. والآن خارت قوى ،
وتهشمت عزائى .. أتعرفين الثور الذى ينطرح بعد درس الحصاد ، ذلك
الثور الطريح ، المكدود الجوانح هو أنا ، يافتاة الحافلة .. أنا لم اعرفك قبل
الساعة وكذلك أنت .. ماذا تبحثن فى ثور مهترى الاعصاب ؟ .. لك الشاب
الذى يشقبنى بنظراته .. ذلك الذى وراءك .. ألا تريدينه ؟ .. أنت تريديننى .
انا لا اريدك . هو لا يريدنى .

الحافلة تعبق بالروائح ، تضح بالغمغمات ، والركاب يتوافدون ، الحافلة
تمتلئ ، تكثظ بالواقفين .. لم اعد أتبينها الا من بين الشقوق الفاصلة بين
الواقفين .. العرق يتزايد ، والشمس تضعف ، والانفاس تتلاهدت ،
العرق يسيل من كل جلد ، وروائح طيب رخيصة وغالية تنبشق
من هنا وهناك ، من أجساد النسوة ، ومن عمام الشيوخ ، ومن صدور الغوانى
المتخففات من اللباس . أطلت النظر فيها ، أطلت الشاب الجالس خلفها النظر
فى .. والذى بجانبه يقتلنى بحر كانه الحمقى ، والآخر .. كلهم ينظرون
الى .. ما هذه العيون ؟ .. ماذا فعلت ؟ .. وقفت الحافلة فى محطة .. نزل
الشباب الذى يقعد وراءها دون أن يكلمنى .. استمرت تغيير محتكة على الاسفلت
بحفيف مزجر كحفيف سيارات آخر هذه الليلة التى أبت أن تنام وتدع الناس
ينامون .. والضحكات تفتح على جبرئى الخضراء الباهتة فى الظلام .. القط
يموء .. يموء مواء حزينا كحشرة طفل يموت ..

كانت حمراء .. وكنت أبيض .. هى لهب أثون ، ودماء ضحايا .. كانت
حمراء .. شديدة الحمرة .. وبيدها منديلها الابيض .. كلها تناديك ، تقبل
عليك .. هى الشهوة الحمراء المستعرة .. كلها حمراء شفوية .. حذاؤها
أحمر ، ساقاها حمراوان ، ملابسها حمراء .. شعرها أحمر .. ومنديلها
الابيض أراه أحمر .. منديلها ملأه حمراء تجلب التيران .. تستغزك أيتها
الثور .. تروم مصارعتك .. تطرح أمامك منديلها الاحمر ، منديلها الكبير
الاحمر ، تفرشه لعينيك ، تنتظر هجمتك ، وصراك .. المنديل الاحمر الكبير
وسيلة لجذبك واستدعائك .. ووراء المنديل جسم يريد مجابهتى .. لابد من
نتيجة .. لابد أن يربح أحدها المصارعة .. انها لا تفتأتبتسم .. قم اليها
ومزق ملأتها ، ارفعها عاليا وانشب أنيابك فيها .. لست ثورا تجلبك الحمرة
.. قم انقض عليها .. لكنى لم أقم .. لماذا لم أقم ؟ .. قامت هى وانتصبت

واقفة بجانبى .. ارتنى وجها حسنا ، أبرزت لى صدرا لم أكن قد ميزته من قبل
 .. تملكنى رعب .. قلت : سأخذها معى . وليكن ما يكون وارفع اليها بصرى
 فاذا هى تتأملنى ، ترجو أجابتى .. وأخجل منها .. بهارجها الزخرفية
 المرسومة على محياها ، وأصباغها المحكمة الوضع تبهرنى .. وتنحدر عينائى ..
 وتسرى فى رعشة .. كنت أقدر أن أكلهما لولا التصاق الواقفين والعضوليين
 خاصة ذلك الرجل الأزرق ذا القلنسوة المشبكة بخيوط صوفية سوداء وبضياء ..
 رجل يرتدى الأزرق ، عنوان صنعته .. أبرز ما يظهر عليه من صفات : الجوع
 هو بحاجة الى التغذية وسد الرمق .. انه جائع الى كل شئ ، معدوم من كل
 شئ ، ينقصه الكثير من كل شئ ..

ترددت قبل أن أفوه بكلام .. ثم اقدمت ..

قلت لها : أين تريدان أن نقصد ؟ ألك مكان معين ؟ بهتت فى الحين ، ..
 وبقيت ذاهلة .. ثم أجابت بحركة بطيئة من رأسها بالنفى .. انطقات الحمرة
 من وجهها .. اكتست بشرتها لون الذبول .. انحسرت عينها عنى ، وبريق
 الأمل يخبو ويتلاشى منهما ..

ARCHIVE

وقفت الحافلة .. نزل بعض الركاب .. هنس الرجل الأزرق بجانب
 أذنها « تعالى اتبعينى » نزلت تتبعه . نزلت أنا بدون أن أشعر .. أتبعهما
 بالنظر .. كان يمشى وهى وراءه كل سيدفن جوعه فى الآخر .. جوع يأكل
 جوعا .. سيسبعان نهما .. وانطلقت الحافلة من أمامى .. وبقيت حيث
 أنا دون أن أقضى ما أمرنى به أبى .. عينائى مثبتتان خلف الأزرق وهو يقود
 الحمراء .. جذبت مندبلى من رقيبى ، جففت جبينى .. « رضيت من الغنيمة
 بالإياب » .. تحركت أمشى .. وتحركت عجلات سيارة بطيئة تمرق السكون
 وتشئت شبكة أفكارى .. تقلبت على الجنبين .. من منا المنتصر ؟ .. التعب
 ولاغير .. الداء ولا الدواء .. الارهاق ولا الراحة .. لم أقض حاجة الاب ..
 اذناى تصطادان منشور الفكاهات التى بدأت تقل .. والقط يموء .. يلغو كما
 يلغو الصغار ... وغرقتى الخضراء تحوينى فى سكون آخر الليل ، وسريرى
 يمتص عرقى بهدوء ... ذراعى متديان تطوقان بحرارة مخده .. ما أطولك
 يا ليل ! .. دعنى أجرك جرعة واحدة .. كانت جميلة لكنى أفلتها ، كنت دميما
 .. لا أظن أنى أستهوئ النساء .. كانت فرصة وتبخرت .. لو لم أكسن

متعبا ، لو كنت متهيئا .. لكني لم أبحث ولم أسع في البحث .. كل ذلك
كان من باب الصدفة ... مسكين ذلك الشاب القروي .. قال لي : انه لم
يجد بالمدينة الكبيرة مغازلات بين الجنسين على خلاف ما قيل له ..

الصمت يعود ، لكن القط يموء ، وسيظل يموء .. وانا أنام ، وبباطني
ذئب نائم . الذئب يتحرك ... الذئب الكامن بدأ يتوثب بعد طول نعاس
واسترخاء ..

رضوان الكوني



الاجزء في كلاس

بقلم : الأنسة جليسة المهري

ليلة لا تخالف سالفاتها •

منذ خمس سنوات لم تحس بالفراغ : لا بالملالة ، ولا بالحيرة •

لم تجحظ عيناها • ولم تشخص ببصرها في الافق ، وهي في تساؤل عما دعاه الى اتخاذ مسكن مجاور لمقرها • أجوبة عديدة استلحق السؤال • التلقائية لها دورها • الارادة ، والصدفة ، وسير الحياة • • كلها أشياء لها دورها • لكن الذي يحز في نفسها • • • • • لماذا يلتقيان دون كلام • • • • •

« كم أكره السؤال الحائر • • ليلة تخالف سالفاتها • ما أكره أن أحس بالسأم ، أن تضج رأسي وقلبي بالذكريات ، بالدوار ، وبالقلق ، بالاختناق • أن أحس أنني أسيرة الذكرى • أسيرة « البد » ولا بد مما ليس منه بد • نحن نعيش حاضرننا في ضباب ماضينا ومستقبلنا في ضباب حاضرننا • كان صديقا لآخي • أستاذي الخاص بالبيت • كان خطي أسود يمتد في موج طوال رقبة منديله الناصع الذي يضعه وقت الدرس ، وبقاع أخرى كاللطخات في الاطراف وقرب الجيوب وفي الاكمام •

تعلمت أن لا أظن كبرياء أي كان ، لأنني متكبرة ، تعافق همتي السماء •

لماذا تحمل منديلك ؟ قد خصصت لك مشجيين •

— سوف لن أحمله بعد اليوم •

- وسوف تتركه اليوم .

وكان يوم . ثم يوم . لبس المنديل ، وهو يتأمل في صمت ، نصاعته وآثار
المكواة على صفحته .

جلس قبالتى ... أخذ يصلح مشكل البارحة ... يفصلنا خشب المكتب .
رفع عينيه في رضى :

- نحن نلتقى .

- لى أول عدد فى الرياضيات بالفصل .

- ماذا يعنى ؟ هل نلتقى فى نظرة رضى ؟؟

- تجاهك أنت .

- وتجاهك أنت .

عيناه تحكيان اللقاء : فى درس ، فى مشكل ، فى حل مشكل ، فى نظرة
رضى . رآنى أطيل التحدث فى وقفة قصصه ... كانه تهمنى أفاقه أساتذتى
... كنت أحترمهم من خلال هندامهم .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الصمت « يحوينا » . نحن نلتقى ..

- ستفلسينه يوما ما .

- « »

- كما غسلت المنديل .

- كلام رجال .

- تريدن كلام النساء ؟؟

- أريد كلام المطلق .

- نحن نلتقى .

- المطلق من كل شىء .

- سأحدث أخاك فى هذا الشأن .

- حدثنى أنا .

- نحن نلتقى في درس ، في يوم ، في مشكل ، في حل مشكل ، في نظرة
رضى ، نحن نلتقى . نلتقى نلتقى .

- انسى خائفة .

- سنبدأ الدرس .

أقبل ذات يوم .. أواخر الخريف تخنق المدينة وكل شيء في المدينة ...
طلال السحب تنعكس كثيفة على الأرض .. عيناه تشبهان اليوم بنظرة شاحبة
يائسة ، لاطراوة فيها .. قام بالدرس كأي أستاذ وأصلح مشكل البارحة في
صمت ... أحسست بحاجتي إلى أشياء عودت نفسي عليها ... ما أحسق
العادة في حياتنا ! ..

وأشتقت من أعماق نفسي إلى استطلاع ما به . ما يكدره ، ما يفسد صفاء
عينيه ، ولم أفعل .

رددت أغنيته الحبيبة .. أحببتها أكثر من أي وقت مضى .

- نحن نلتقى في درس ، في مشكل ، في حل مشكل ، في نظرة رضى .
نحن نلتقى . نلتقى نلتقى .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
وأعاد نفس الأغنية . بنغمة تختلف :

- نحن نلتقى في يوم ، في درس ، في مشكل ، في حل مشكل ، في نظرة
رضى ، في كذبة .

- فلى كذبة ؟ ؟

- هل تقبل الرياضيات الكذب ؟ هل تقبل التزييف ؟ هل تقبل التزوير ؟؟

- انسى لا أفهم .

- متى تخرجين من المدرسة ؟

- مع الزوال .

- أين كنت في العاشرة ؟

- تغيب أحد الاساتذة ، فخرجت للتجوال

وازدادت عيناه صمتا ونظرتة يبسا .

– هل يتغيب كل يوم ؟ هل هذا انعكاس الرياضيات عليك ؟ هل أوصتك بالكذب ؟ بالزيف ؟ بالتزوير ؟ لماذا زورت أوقانك ؟ لماذا كذبت ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

– ولماذا طلبت منى جدول الاوقات ؟

أعلمتني حركاته ونظراته الشاحبة الصامتة فى تعديدها ، العنيفة فى معناها أعلمنى أنه رجل بحق ، وأن الرجولة اذا اختلطت بالجهل تكون أشد متانة من الرجولة البحت ، وأشد وطأة على نفس صاحبها • ما أتعس الرجل الحق !

كان جاهلا • أجهل منى • وأنا تلميذة • أفهمه من أعلى رأسه الى أخمص قدميه ، جهل أنى امرأة • أنى أخت المطلق • وابنة المطلق • أنشد حياة مطلقة كما أنشد قييدا مطلقا • أعيش متعة المطلق ولو بالتحدى والزيف حين لا يمنح لى بطريقة شرعية •



ARCHIVE

<http://archivebeta.sakibdata.com>

ورفعت عيىنى بالسؤال •

– صحبة من أبصرتنى ؟

– وحيدة •

– وماذا يضيرك ؟

وأشاح عنى بوجهه • وأشاحت عنه بوجهى

•• رمى نجيب بلعبه جانبا ، ثم ارتقى فى عنقها •

– ماما « أريد » بابا •

– سيأتى بعد قليل •

– سيأتى بعد قليل •

– أريد حليبيا ••

– سأحضر لولدى حليبيا •

تذكرت ان لا حليب لديها •• أطبقت باب البيت ليلة على خلاف سאלفاتها • كانت الساعة متأخرة • هنالك النقا فى (مساء خير) ثم خرجا ، والليل يحويهما فى ساعة تكثر فيها الهواجس ، تطول فيها الثرثرة كما يطول فيها الصمت والتحليق بعيدا لجمع الذكريات ولم أشلائها وتقريب السنين وحشموها فى لحظة ، أو دقيقة ، أو ساعة • لم يكونا شاربين أو غائبين وراء شواطئ الليل • كلاهما حاضر الى جانب صاحبه ، بعقله ، وقلبه وجسده • الذكرى

الحلوة تعلق كل الذكريات • أحس أنه صغير تافه أو كبير عظيم ، باستطاعته أن يزور الرياضيات ويجعلها قابلة للكذب والتزوير • تاق من أعماقه أن يسيرا معا طول الليل ، الى اللانهاية أو أن يمسك طويلا بيدها الرقيقة الطرية ، أو يقربها منه • لتصير هو أو يصير هي • ولعلها تآقت هي الأخرى الى أن تنسى نظرتة الشاحبة الصامتة في يوم ما • أو أنه عنفها ذات يوم ، فتذوب من جانبه كي تذيب شوق السنين بين يديه • كي تحس أنها الى جانب من أنسته وفهمته وألفته •

وتطلع في لهفة الى يديها • أبصرهما بعيدين • يماها تجر «نجيبا» ويسراها تحمل حقيبة نسائية • وعادتهما صوت المديعة رصينا ، هادئا • « العاشرة احترام الجار ، العاشرة احترام النائم ، ومن أحترم غيره فقد أحترم نفسه • الرجاء من كافة المستمعين ان يخفوا في أصوات أجهزتهم ويراعوا راحة غيرهم » •

وواصل السير • انه جار • مجرد جار • أراد ذلك ذات يوم • سارا معا •



جهاز في رأسه وجهاز في رأسها •
جهاز في قلبه وجهاز في قلبها •
جهاز في دمه وجهاز في دمها •••
وهما جهازان في العاشرة ليلا •
فماذا تفعل الاجهزة في العاشرة ••؟

الآنسة جلييلة المهري

ناثورادش || من قصص

جمع : سمير العيادي

هذه الأقوال المأخوذة من شتى القصص التي نشرت بمجلتنا ، جمعت قصد التيسير على متتبع خطى القصة التونسية ونضجها فهو بذلك يتمكن من التأمل في محتوى القصص من داخلها او من اقرب خط لها . وعملية الغريبة على بساطتها تشكل من الخطورة بحيث يظهر جليا لعين الناقد هذا العمود الفقري لأفكار قصاصينا .

ولسنا ندعى رغم العنوان الذي اخترناه (مآثورات من قصص) ان هذه الأقوال حكم نزاحم بها الحكماء ، وانما هي خواطر صبت في قالب شبيه بالتقريرى ، خواطر دفعنا اليها اهتمامنا بالمشاكل المذكورة بها .

ولعلها ايضا تظهر الى النقد ان جمعها عمل لا يستهان به قبل الشروع في رسم الكلمات اللاذعة المتهجمة ، وتقول الى متجاهل الفكر التونسي ان صيغتها تنبىء عن عمقها وعمق غايتها . فهذا جانب من النقد البناء ، ان نعصر الصفحات ونستخرج الحكم .

ومهما يكن من امر فهي لوعى القارىء مبسطة .

س . ع .

- ١ -

ادب

- ان الادب لعنة .

- الادب هو امتلاك التعبير عن الاحساس *
- ان هذا الادب شئ جميل *
- ولعين ايضا *

محمد المختار جنات (ارجوان 2)

اصالة

- الاصالة هي نبوغ الكاتب * هي حدسه وذكاؤه ووعيه وحريته *
- عز الدين المرني (سقيا يا مطر 3)

آلة

- الآلة يجب ان تقدس *

عبد الواحد ابراهيم (باب البحر 2)

ايمان

- هناك من يبحثون عن الشك فلا يجدونه * وهناك من يشكون دائما وهناك * من يبحثون عن الايمان *
- عبد الله القويري (الفرد تحت الشجرة 5)

انسان

- الانسان هو الحيوان الذي يشرب الخمر *
- محمد المختار جنات (ارجوان 2)
- كل انسان هو سؤال يسير *
- عز الدين المدني (سقيا يا مطر 2)

- ب -

باطن

- اذ لا شك ان الذي يعتنى بظاهره يفقد الحيوية الطبيعية للاعتناء بباطنه *
- عبد القادر بلحاج نصر (ورقات وتمائيل 4)

بكاء

- كذلك اذن تبكي المرأة ، ؟ تماما مثلما تمطر السماء *
- حسن نصر (الطواف 4)

- ج -

جنس

- غريزة تخضع لارادة الانسان الناضج ، اما ارادة الانسان العادى ، اما ارادة الجماهير فمن يحميها من التخدير الجنسى واغرائه المحموم .

(الطاهر عمران (عراقيل 4)

جنون

- كثيرون هم الذين يصادفونك فى الطريق وقد انشغلوا فى حديث ملح فيما بين أنفسهم ... بعض الناس يرمونهم بالجنون .

(حسن نصر (الطواف بالليل 4)

- ح -

حب

- لكونه يحبها (المرأة) يصبح من السهل عليه قتلها .
(حسن نصر (رجل متعب 2)

- اننا لكى نحب المرأة بشغف شديد لا يد ان نكون قد اكتشفنا انها تنطوى على هذا الشيء من البراءة الطفولية .
(حسن نصر (وتهوى حبيبتي الحيل 5)

حرية

- ان الحرية هى نسخ الفعل وان الفعل هو العمود الفقرى للحرية ولا حرية بدون فعل ولا فعل بدون حرية .
(عز الدين المدنى (سقيا يا مطر 2)

حكمة

- كلامك حكيم يا حكيم يضحك الناس ويبكى .
(محمد الصالح الجابرى (بقية الذكرى I)

حقيقة

- قول الناس لا يصنع الحقيقة .
(احمد الهرقام (ابتسامة من الاعماق 3)

- الحيات الحقيقية أقنعة • كل شيء قناع • حتى وجهك الذى تنظر اليه احيانا فى المرأة قناع •
- عز الدين المdney (الانسان الصفر 4)

حياة

- أنا رجل سرقت خبزة فقبض على الحياز • وهأ أنى فى الحبس • تلك حكائتى لا أكثر ولا اقل كحكاية كل بشر •
- عز الدين المdney (الانسان الصفر 4)
- يخيل الى ان الحياة التى اقضيها هنا عبث مفرط ؛ فحتى الآن لم اركز اهتمامى على شيء معين •
- عبد القادر بلحاج نصر (ورقات وثمانيل 4)

- خ -

خبر

- وماذا فى اخبار العالم ، باخرة تتحطم • طائرة تحترق • نصف الهند جائع • غراك على الحدود • لا أذكر الآن أين •
- عبد الله القويرى (الفرد تحت الشجرة 5)

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

خضوع

- كل الناس يخضعون لأبائهم •
- عبد الله القويرى (زوجة من مصراته 4)

تخلف

- الانسان فى البلاد المتخلفة سجين وضعه مهما طمّح وبنى ونمى • وانه لن يغير وضعه الا بالفعل الارادى الواعى •
- عز الدين المdney (سقيا يا مطر 2)
- الكفر شر ، ولكن التخلف أكثر شرا •
- عز الدين المdney (الانسان الصفر 4)

خيال

- كلنا صراصير نهوى الغناء والخيال والسرعة الفارغة •
- الطاهر عمران (قبر فى حانة 5)

- ذ -

ذكرى

- الذكرى عجز وحنين *
- الذكرى وما أدراك ما الذكرى • انها حياة وخلق وميعاد • انها لا تنسى ولا تمحى ابدا تبقى فى حافظتك تبقى فى صدرك تبقى فى فكرك تبقى فى الاشياء والاشخاص والعيون تبقى كالوشم لا يمحو كالنقش لا يطمس كالانثر لا يدرس *
- عز الدين المدنى (الا تذكرين 2)

ذكا

- انت بحار قوى ولكنك حمار • ماذا يجدى ؟
- وانت ثعلب ، ولكنك بحار هزيل • ماذا يجدى ؟
- عبد القادر بلحاج نصر (من الزقاق الى السور 4)

- ز -

زمن

- عندما يقول الانسان ان الدقائق مريضة يعنى انه ليس بقادر على اكتشاف المرض الذى يتحر اعصابه فيحس بثقل الزمن وتعدد الساعات • ولذلك كان على المرء ان يدرس انحراف الطبيعة فى ذاته قبل كل شيء *
- عبد القادر بلحاج نصر (جدار قديم 3)

- س -

سحت

- السحت ، ان ناكل بافواهنا •
- محمد العروسي المطوى (طريق المعصرة 1)

سعادة

- حتى فى الحيوانات هنالك من يولد سعيدا ومن يولد شقيا تماما كما هو الحال بالنسبة للانسان لكنها عاجزة عن الافصاح ايضا كالانسان الذى يكون فى اغلب الحالات عاجزا عن الافصاح •
- حسن نصر (لا شيء فى الصورة 4)

- ش -

شجاعة

- استمد شجاعتي في كل شيء من عدم تدخل لصالح الانسان
او لطالعه *
- عبد القادر بلحاج نصر (ورقات وتماثيل 4)

شرف

- الشرف كعود الكبريت *
- مصطفى الفارسي (سرقت القمر 5)

شعر

- النثر الفنى هذا قد قتل الشعر - لان النثر الفنى متولد عن
الموت .. موت الحركة البطيئة فى الشعر والتحديدات الضيقة
التي لم تعد تسمح للشاعر كي يعبر عن أحاسيسه الجديدة فى
عالم القرن العشرين * الانسان ينتحر فلا بد للشعر ان يعبر
على انتحار الانسان *
- سمير العيادى (الموت فى المرأة 4)

شمس

- الشمس فى بلادى لا تتعب أبدا *
- أحمد الهرقام (عيناك والنهر 2)
- ان اضواء الشمس البخيلة تدفع فى غائب الاحيان الى التأمل *
- عبد القادر بلحاج نصر (ورقات وتماثيل 4)
- ما قولك فى شمس تونس ؟ انها ليست كشمس برلين *
- سمير العيادى (شمس متقلبة 2)

شهرة

- الشهرة حرمان *
- محمد العروسي المطوى (التجربة الثانية 5)

- ص -

صحافة

- الفراغ للجريدة جوع مزمن . . الا يهدد الجوع حياة المعدة ؟
وللجريدة معدة ، ومعدتها تواجه إنتاج الحياة .
محمد المختار جنات (الفهم يا روحى 3)

- ط -

طمع

- ان السمك يسلك ممر السفن طمعا فى القوت .
الطاهر فيقة (مروض الافاعى 5)

- ع -

عدالة

- سجوننا سماء للعدالة . وعدائتنا لها ضمير مصنوع من حديد
السلاسل .
محمد المختار جنات (الفهم يا روحى 3)

ARCHIVE

<http://archive.sakina.com>

عرض

- العرض كالبلور سريع الانكسار .
الطاهر فيقة (مروض الافاعى 5)

عاصفة

- العاصفة علمتنا ان نتكلم كالطبول الفارغة .
عبد القادر بلحاج نصر (من الزقاق الى السور 5)

عمل

- المشكل الذى لم اجد له حلا الى الآن هو ازدحام المستخدمين فى
الشركة .
محمد العروسى المطوى (التجربة الثانية 5)

عناق

- شاب يعانق شابة ، هذا شيء معتاد ، مبتذل .
عز الدين المدني (سقيا يا مطر 3)

- غ -

غبه

- كل غبى على حق .*
- عبد القادر بلحاج نصر (ورقات وتمائيل 4)

غربة

- الشعور بالغربة فى الوطن من أشد العوامل حزا فى النفس .*
- محمد العروسى المطوى (التجربة الثانية 5)
- غربتى اراها فى احداق الناس الفارغة من التعبير .*
- أحمد الهرقام (ابتسامة من الاعماق 3)
- غربتى فى بلادى أشد وأقسى .*
- أحمد الهرقام (ابتسامة من الاعماق 3)

- ق -

قصة

- القصة التونسية مرت بمراحل تاريخية - هي فيما يبدو ككل نشوء قصة فى العالم اعني انها مرت بالترجمة ثم بالاختباس واخيرا بالوضع والحلق .*
- عز الدين المدنى (تقديم الصادق الرزقى)
- القصة هي التي تجر كاتبها لا الكاتب هو الذي يجر القصة .*
- خاتمة القصة من الناحية الاخلاقية والفلسفية او التفكيرية هي اتخاذ موقف معين .*
- القصة هي عبارة عن سؤال يطرح على القارى . . هي لون من الحوار . . هي بمثابة النغمة الناشزة فى الالحان المنسجمة . . هي النشاز الجذرى فى الوجود بعبارة اعم واشمل .*
- عز الدين المدنى (سقيا يا مطر 3)

قمر

- القمر كان فكان الحلم وكان الحب وكان الموت .*

- بل ركام امصحت وحديد وزجاج *
- عز الدين المدني (سقيا يا مطر 1)
- باريس : مدينة أحببتها قبل أن أراها .. يشعر فيها الانسان براحة داخلية عميقة رغم النصب الذي يملأ الشوارع *
- أحمد الهرقام (عيناك والنهر 2)

تمرد

- تمرد فجأة على وجوده فابطل الصلاة وتعلم كيف يدخن وكيف يسهر
- أحمد الهرقام (الوجه الآخر للقمر 1)

مطر

- إنك الحب يا مطر .. إنك الوجود إنك الخلق إنك الحياة *
- عز الدين المدني (سقيا يا مطر 1)

امراة

- أرى من الباطل أن أشرع في نقل صورة مطابقة للأصل فهذا حديث النساء عادة *
- عبد القادر بلحاج نصر (ورقات وتماثيل 4)
- جاهلة .. غبية .. حياة بلا مشاكل بلا عقد *
- محمد العروسي المطوي (التجربة الثانية 5)

موت

- عندما يموت الانسان ماذا يحدث .. هل تتغير الحياة بعده ؟ ماذا يقع على هذا الجدار مثلا ؟ وهل تظل النجوم مضيئة كما هي ؟ وهل تظل الريح تعزف ؟
- عبد القادر بلحاج نصر (من الزقاق الى السور 5)
- أقول لك : ان مشكل الموت في القصة هو مشكل فني صرف *
- عز الدين المدني (سقيا يا مطر 4)

- هكذا يصرع الجنود في ساحة الوغى ، يصرعون اذا انحل ما كان معقودا في قرارة أنفسهم واستكانوا لبوادر الفناء .
- الطاهر فيقة (مروض الافاعي 5)

- ن -

نجاح

- المهام في الاشهار يرمى دائما الى تغيير نظرة المستهلك الى ما هو في حاجة اليه ، بل الى ما هو ليس في حاجة اليه . هذا هو النجاح في العمل .
- عز الدين المدني (سقيا يا مطر 3)

نسل

- آلاف الأسر تلد وتلد ثم تلد . ويتبعثر الاطفال بين الازقة الضيقة وأكوام المزابل ويكبر النسل بين الأوبئة فاذا الكلل - الوالد والمولود - وباء مدمر .
- الطاهر عمران (عراقيل 4)

نفس

- على ان اكون انا ، لا سوى . ان اكون صورة نفسى . الا أمسخ . . اريد أن احتفظ بشيء من نفسى .
- عز الدين المدني (الانسان الصفر 4)
- نفسك تميل الى ربط عنقها بتقاطيع سوداء ترسمها الجوانب المظلمة من الاشياء .
- محمود التونسي (زخارف للسلاح 4)
- النفس أبجل من الصاحب .
- عبد العزيز فاخت (قدورة 5)

نقد

- ينبغي على الانسان ان يكون مرنا في آرائه ومواقفه لا أن يكون صلبا قاسيا حتى تنفلق عليه صلابته وقساوته فيظل

كتلك الحشرة التي تموت عرقا عرقا منكشمة في قشرتها ،
وكذلك العامل حفار القبور الذي حفر لنفسه قبرا ثم قبر
نفسه بنفسه ^١
عز الدين المدني (سقيا يا مطر 3)

هاتف

- حقا ان الهاتف مزعج ولو أنه يقضى الكثير من الحاجات .
العروسي المطوى (التجربة الثانية 5)

- و -

واقع

- الواقع متناقض ومتصارع .
عز الدين المدني (الانسان الصغير 4)
- لا توجد أية ملامحة بين الانسان والواقع .
عز الدين المدني (سقيا يا مطر 2)

جمع : سمير العيادي

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>